حوار كوني

المجلد الأول، العدد الخامس ، تموز/ يوليو 2011

GDN 5

ترجمة منير السعيداني
تصميم انستاريا الحاج

ISA

التنمية بوصفها عدالة: يوتوبيا واقعية من الهند

يوتوبيات واقعية من أجل علم اجتماع كوني
Erik Olin Wright **إريريك أولن رايت**

في مواجهة لاعدالة التمتع بالماء
José Esteban Castro **خوزي إيستيبان كاسترو**

تقديم فريق تحرير باوليستا

حقوق الإنسان، الإرهاب المضاد في المملكة المتحدة

تكريم روبرت ك. مورتن

علماء اجتماع شبان في كاتالونيا

علم الاجتماع في خضم الثورة الإسبانية

الحراك الذي يشهده علم اجتماع الشرق الأوسط

رسالة من محرر: عينات فضلات البقر

ركن التاريخ: تطور بنية الجمعية الدولية لعلم الاجتماع

في هذا العدد

الافتتاحية
يوتوبيات واقعية من أجل علم اجتماع كوني
العدالة بوصفها تنمية : يوتوبيا واقعية من الهند
علم الاجتماع في خضم الثورة الإسبانية
في مواجهة اللاعدالة في التمتع بالماء في أمريكا اللاتينية

مطارحات حول العمل الكوني

منظور جنوب أفريقي
منظور صيني
منظور مكسيكي

مؤتمرات

الحراك الذي يشهده علم اجتماع الشرق الأوسط
علماء اجتماع شبان في كاتالونيا
تكريم روبرت مورتن

أعمدة خاصة:

ركن التاريخ: تطور بنية الجمعية الدولية لعلم الاجتماع
حقوق الإنسان، الإرهاب المضاد في المملكة المتحدة
تقديم المحررين: مجموعة باوليستا
رسالة من محرر: عينات فضلات البقر

الافتتاحية

عمل علم الاجتماع دائما على نزع ما يُتَصَوّرُ أن الحاضر يتسم به من القَدَرية والطبيعية، مبيّنا أن الحال يمكن أن تكون على غير ما هي عليه. وعليه فإننا نفتتح هذا العدد الخامس من *حوار كوني* بمناقشة حول"اليوتوبيات الواقعية" التي تشير إلى ما يرفع البعض من التحديات في وجه منطق الرأسمالية الذي تعمل على أساسه المؤسسات القائمة. تجسّد المقالات اللاحقة فكرة اليوتوبيات الواقعية حيث يكتب كالبان كانابيران Kalpana Kannabiran عن يوتوبيا واقعية من الهند تنظر في التنمية بوصفها لاعدالة، وتصف تيريزا سوردي Teresa Sordé وتاتينا سانتوس Tatiana Santos التجارب الاخيرة التي خيضت من أجل ديموقراطية تشاركية في إسبانيا، فيما كتب خوزي إيستيبان كاسترو José Esteban Castroحول لا عدالة توزيع المياه في أمريكا اللاتينية. ويسيح علماء اجتماع عمل مرموقون بفكرة "اليوتوبيات الواقعية" في اتجاه مختلف مشاركين في الآن ذاته في ما نخوض من نقاشات حول علم الاجتماع الكوني من خلال تفحص مفهوم "عولمة مضادة للهيمنة". من ذلك أن إدوارد وبستر Edward Webster يناقش حركات العمل الكوني كما ينظر لها من جنوب أفريقيا، كما تناقشها بان نغاي Pun Ngai منظورا إليها من الصين وكذلك يفعل إنريكي دولا غارزا Enrique de la Garzaمن منظور مكسيكي. ويغطّي فريد العطاس مؤتمرا شرق أوسطيا بالغ الأهمية في طهران، وتروي لنا أنا فيدو Ana Vidu وقائع موتمر حماسي عقدة علماء اجتماع شبان في برشلونة فيما وصفت لنا ناديا آشيولوفا Nadia Asheulovaوجام خيمينيز Jaime Jiménezاحتفاء مجموعة البحث 23 بروبرت مورتن Robert Mertonعالم اجتماع العلوم العظيم. تعالج الأعمدة الخاصة انتهاك الحرية الآكاديمية عندما تنخرط الجامعات في مكافحة الإرهاب، وكذا تاريخ بنية الجمعية الدولية لعلم الاجتماع ذات الغرفتين (bicameral)، وبناء عينات "فواضل البقر" في أفريقيا المدارية. وفي الآخر نفتتح عمودا جديدا يقدم مختلف فرق التحرير العاملة معنا عبر العالم، وفي هذا السياق ابتهج بالترحيب بفريق علماء اجتماع شبان من طهران سيتولون ترجمة *حوار كوني* إلى الفارسية، لغتنا العاشرة. يمكن الاطلاع على *حوار كوني* على الفايسبوك وعلى موقع الجمعية الدولية.في فعلاتفحص مفهوم "عولمة مضادة للهيمنة". من ذلك أن إدوارد وبستر Edward Webster يناقش حركات العمل الكوني كما ينظر لها من جنوب أفريقيا، كما تناقشها بان نغاي Pun Ngai منظورا إليها من الصين وكذلك يفعل إنريكي دولا غارزا Enrique de la Garzaمن منظور مكسيكي. ويغطّي فريد العطاس مؤتمرا شرق أوسطيا بالغ الأهمية في طهران، وتروي لنا أنا فيدو Ana Vidu وقائع موتمر حماسي عقدة علماء اجتماع شبان في برشلونة فيما وصفت لنا ناديا آشيولوفا Nadia Asheulovaوجام خيمينيز Jaime Jiménezاحتفاء مجموعة البحث 23 بروبرت مورتن Robert Mertonعالم اجتماع العلوم العظيم. تعالج الأعمدة الخاصة انتهاك الحرية الآكاديمية عندما تنخرط الجامعات في مكافحة الإرهاب، وكذا تاريخ بنية الجمعية الدولية لعلم الاجتماع ذات الغرفتين (bicameral)، وبناء عينات "فواضل البقر" في أفريقيا المدارية. وفي الآخر نفتتح عمودا جديدا يقدم مختلف فرق التحرير العاملة معنا عبر العالم، وفي هذا السياق ابتهج بالترحيب بفريق علماء اجتماع شبان من طهران سيتولون ترجمة *حوار كوني* إلى الفارسية، لغتنا العاشرة. يمكن الاطلاع على *حوار كوني* على الفايسبوك وعلى موقع الجمعية الدولية.في فعلا

هيئة التحرير:

رئيس التحرير: مايكل بوراووي.

مساعدو التحرير: لولا بوسوتيل، أوغست باغا، جونوفياف هيد غوردون.

محررون: ماغرات أبراهام، تينا إيبس، راكال سوزا، جينيفر بلات، روبار فان كريكن.

مستشارو تحرير: إيزابيلا بارلينسكا، لويس شوفال، جيلاك سوندوغلو

، توم ديبور، يان فريتز، ساري حنفي، جام جيمينيز،حبيب الخندكر،سيمون ماباديمنغ

، إيشوار مودي، نيكيتا بوكروفسكي، إيما بوريو، يوشيميشي ساتو، فينيتا سنها، بنيامين

تيجيرينا، شين شون يي، إيلينا زراديسلومافا.

محررون إقليميون:

العالم العربي: ساري حنفي، منير السعيداني.

البرازيل: غوستافو تانيغوتي، جوليانا تونشي، بيدرو مانسيني، فابيو سيلفا تسونودا،

ديمتري سيربونتسيني فرننداز، أندريزا غاللي.

الهند: إيشوار مودي، راجيف غوبتا، راشمي جين، أودي شينغ.

اليابان: ماري شيبا، يوشيا شيوتاني، كوسوكي هيمينو، توموهيرو

تاكامي، ناناكو هايامي، ياتاكا إيوادات، كازوهيرو إيكيدا.

إسبانيا: جيزيلا ريدوندو.

تايوان: جين ماو هو

يوتوبيات واقعية من أجل علم اجتماع كوني

إريريك أولن رايتErik Olin Wright ، جامعة ويسكنسن، ماديسون

إيريك رايت رئيس منتخب للجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع وسيكون موضوع رئاسته " تخيّل اليوتوبيات الواقعية" "envisioning real utopias"*، وهو أيضا عنوان كتابه الأخير. كلّفتُه بتفسير ما يعنيه باليوتوبيات الواقعية وبمدى مناسبتها علم اجتماع كوني، وذلك في أقل من 1500 كلمة.*

تجد فكرة *اليوتوبيات الواقعية* لها جذورا في ما يمكن أن يعتبر العناوين الأساسية لكل أشكال علم الاجتماع النقدي القائلة إننا نحيا في عالم تنتج فيه أشكالٌ متعددةٌ من معاناة الإنسان ومن قصور الإنجاز البشري إذا ما أردنا الحديث عن الطرق التي بها نُظّمت بها بُنَانَا ومؤسساتنا الاجتماعية. لا يعكس الفقر المزدهر في قلب الوفرة قانونا طبيعيا ثابتا بل هو نتيجة للطرق التي عليها يسير نظام السلطة الاجتماعي تماما مثلما يؤثر التفاوت في إمكانيات الإنجاز البشري. وتوجب هذه العناوين الأساسية على علم الاجتماع النقدي ثلاث مهام مركزية أولها تشخيص الأسباب الاجتماعية الكامنة خلف هذه الأضرار، وثانيها بناء مؤسسات وبنى بديلة وثالثها تطوير نظرية

في التغيير ترشدنا إلى الكيفية التي يمكننا بها الانتقال مما نحن فيه إلى ما نصبو إليه. وتعتبر اليوتوبيات الواقعية واحدة من الطرق التي يمكن اتباعها لمقاربة ثاني المهام تعني *اليوتوبيا* ضمن "اليوتوبيات الواقعية" التفكير في البدائل الممكنة للمؤسسات المهيمنة بطريقة تجسّد أعمق تطلعاتنا من أجل عالم عادل وإنساني. تلك مسألة أخلاقية بالأساس ذلك أن المطلوب هو اكتشاف المعايير التي على أساسها يجب أن تُقيّم المؤسسات واستكشاف الكيفية التي بها ستتكفل الترتيبات المؤسسية البديلة بتكريس أمثل لتلك القيم. كما تستكشف *الواقعية* التي في "اليوتوبيات الواقعية" بدائل للمؤسسات المهيمنة ولكنها تركّز على المشاكل المنجرة عن الآثار الجانبية لديناميات التحطيم الذاتي. إن ما نحتاجه هو موديلات ذكية وصارمة تؤسس لبدائل قابلة للحياة نستعيض بها عن البنى الاجتماعية القائمة ويكون بإمكانها في الآن ذاته أن تُجسّد أعمق آمالنا في إنجاح الإنجازات البشرية وأن تعالج جديا مشكلة الهندسة العملية لمؤسسات قادرة على العمل ومن ثم الانتباه إلى ما يستوجبه وضع تلك التطلعات موضع الوجود الفعلي في العالم.

يقتضي استكشاف اليوتوبيات تطوير علم اجتماع *الممكن* لا علم اجتماع *الواقعي* فحسب. ولكن كيف لنا أن نقوم بذلك من غير أن نسقط في خطل التأملات المعزولة عن الواقع؟ تتمثل واحدة من أوفر الاستراتيجيات نتائج في ذلك في تحديد ما يوجد فعلا من الأوضاع الاجتماعية التي تخرق المنطق الأساس للمؤسسات المهيمنة وذلك بغية تجسيد التطلعات التحررية وتصور البدائل اليوتوبية اللاحقة. وتتمثل مهمة البحث في النظر في كيفية اشتغال هذه الحالات وتحديد الطرق التي بها تُيَسّر الإنجاز البشري، وتحليل حدودها ومآزقها وآثارها الجانبية، وفهم طرق تطوير إمكاناتها وتوسيع أمدائها. وتُغري مثل هذه البحوث بالحماس الفياض واحتلال موقع الممجد لمزايا الاختبارات الواعدة فيما يتمثل الخطر في اتخاذ موقع الناقد المتشائم بحيث تكون العلل هي وحدها الحقيقة ولا يكون الممكن إلا وَهمًا.

إلا أن دراسة الحالات العينية الموحية لا يمثل إلا جزءا من أجندا اليوتوبيات الواقعية. يميل التركيز المقتصر على الحالات العينية إلى تضييق مجال تصور البدائل على مقاس أنواع المؤسسات المخصوصة والتي غالبا ما تكون، إلى هذا الحد أو ذاك، من مستوى التنظيم الاجتماعي الأدنى. ونحن نحتاج مثلا بمثل أن نفهم أن "عالما آخر ممكن" على أعلى مستوى يمكن أن تشتغل عليه الأنظمة الاجتماعية ككل. فيما مضى كانت هذه المناقشة تتمحور حول ما كان بارزا حينها من التعارض بين الرأسمالية والاشتراكية، على أن استكشاف مثل بدائل المستوى النسقي هذه يتطلب تحليلات نظرية أكثر اختصارا تنصبّ على نماذج مختلفة من البنى الاجتماعية والاقتصادية.

الواقعية تام التبلور الاستقصاءَ العينيَ الفعليَ المنصبّ على المؤسسات التي تستبق البدائل التحررية بما في ذلك مثل تلك المناقشات النظرية الخاصة بالمبادئ التي تتأسس عليها الأنظمة البديلة. ليس في هذا المقال المختصر مجال لبلورة كل هذه الأجندا. كل ما يمكن القيام به هو وضع بعض العلامات الدالة على الفكرة الأساس المتمثلة في دراسة اليوتوبيات الواقعية عبر تفحص حالتين عينيتين تجسيديتين. تجسّد كل واحدة من الحالتين، و إن على نحو جزئي وغير مكتمل، ما تكون عليه النظرة اليوتوبية لبدائل المؤسسات القائمة من جذرية وديمقراطية ومساواتية. وتتحدر أولى الحالتين من الجنوب الكوني فيما تتحدر الثانية من الشمال.

التشارك في وضع الميزانية الحضرية:

تبدو فكرة "الديمقراطية المباشرة" التي يشارك من خلالها المواطنون ذواتهم في صنع القرارات الديمقراطية ضمن مجلس سياسي دامع لأغلب الناس مفتقدة لأية إمكانية للتطبيق في مجتمع مركب حديث. ويمثل تطور ما بات يعرف على أنه "تشارك في وضع الميزانية" تحديا يوتوبيا صارخا وفعليا لهذا الاعتقاد التقليدي. هاكم أصل الحكاية: أُدرج التشارك في وضع الميزانية عَرَضًا تقريبا في مدينة بورتو أليغري، في البرازيل سنة 1989. هي مدينة ذات نصف ميلون ساكن تقريبا واقعة في الركن الجنوبي الشرقي من البلاد. في أواخر سنة 1988، وعلى أثر سنوات طويلة من الدكتاتورية العسكرية ومرحلة من الانتقال نحو الديمقراطية فاز جناح حزب يساري في انتخابات رئيس البلدية ولكنه لم يكن يسيطر على مجلسها بحيث واجهه خطر الجلوس على كرسي الرئاسة طوال أربعة أعوام من غير قدرة على التقدم بعيدا في إنجاز برنامجه السياسي التقدمي. وإزاء هذه الوضعية وضع نشطاء الحزب ذلك السؤال التقليدي: ما العمل؟ وكانت إجابتهم تجديدا مؤسساتيا رائعا تمثل في الميزانية التشاركية أي نظام جديد في وضع الميزانية يستند على مشاركة المواطنين العاديين. وعوضا عن الميزانية الموضوعة من الأعلى نحو الأسفل بات لكل منطقة من المناطق التي قسمت إليها بورتو أليغري مجلس ميزانية تشاركي، فيما وجدت مجالس ميزانية لكل المدينة تهتم بعدد من المسائل التي تمس مصالح كل البلدية مثل المهرجانات الثقافية أو النقل العمومي. وتتمثل مشمولات كل واحدة من مجالس الميزانية التشاركية هذه في صياغة مقترحات ميزانية ملموسة وخاصةً فيما يتعلق بمشاريع للبنية الأساسية من هذا النوع أو ذاك. يمكن لكل ساكن من سكان المدينة أن يحضر هذه المجالس وأن يصوت على المقترحات، الميزانيات المناطقية والقطاعية تختار المجالس مندوبين يشاركون في مجلس ميزانية المدينة لمدة بضعة أشهر إلى حين تبني واحدة متجانسة ومعززة.

كانت الميزانية التشاركية مُمَارَسَةً فعليا في بوتو إليغري منذ بداية سنوات 1990. وبعد بضع سنوات صارت سيرورة الميزانية هذه حيوية ومُشركَةً فعليا لآلاف من السكان في مداولات ميزانية المدينة فيما تدنت المشاركة خلال سنوات أخرى وخاصة عندما يتم الحدّ من النفقات التقديرية الموضوعة للصرف. ولكن، ومهما كان من أمر، ساهمت الميزانيات التشاركية في تعزيز المشاركة العمومية في الاعتناء بشؤون المدينة وفي إعادة توجيه نفقاتها نحو حاجات الفقراء واالمعوزين بدلا عن النخب. وعلى العموم فتحت الميزانية التشاركية المجال إذًا لتوسع الديمقراطية وتعمّقها إلى ما أبعد مما كان يُتَصَوّرُ من حدود الإمكان. وخلال السنوات التي أعقبت ابتداع الميزانية التشاركية في بورتو أليغري جُرّبت أشكال منها في أكثر من 1000 مدينة على مدار العالم. هذا مستوى هاجر فيه تجديد يوتوبي واقعي من جنوب الكون إلى مناطق العالم المتطورة.

ويكيبيديا

تَخَيّل أن واحدا من الناس اقترح سنة 2000، قبل ميلاد ويكيبيديا، إنتاج موسوعة في غضون عشرة أعوام ذات ثلاثة ملايين ونصف من المواد- المداخل الإنقليزية تكون

جودتها كافية لتحويلها إلى الوجهة الأولى لملايين الأشخاص الراغبين في الحصول على المعلومات الأساسية حول مجالات واسعة من المواضيع. ولفترض أن ذلك الشخص اقترح الصيغة المؤسسية التالية في إنتاج الموسوعة وتوزيعها: 1) تكون المواد- المداخل مُحَرّرةً من قبل مئات آلاف الأشخاص المنتشرين في كل أرجاء العالم ومن دون مقابل، 2) يمكن لأيّ كان أن يكون مُحرّرا كما يمكن لأيّ كان أن ينشر أية مادة في الموسوعة، 3) يكون الدخول إلى الموسوعة متاحا مجانا لأيّ شخص في العالم. هذا من المستحيلات؟

كيف يُتصور تعاون مئات آلاف الأشخاص في إنتاج ما يُقَدّرُ أنه موسوعة مرموقة المستوى من دون مقابل ثم توزيعها بما لا كلفة فيه ضُدًا عن النظرية الاقتصادية التي تؤكّد على أن مثل هذا التعاون ممتد النطاق يتطلب حوافز مالية وهرمية حتى يكون فاعلا.؟

تمثل ويكيبيديا في أساسها طريقةً مساواتيةً ومناهضةً للرأسمالية في إنتاج المعرفة وتقاسمها وهي تعتمد على المبدأ الشيوعي القائل " لكل حسب حاجته ومن كل حسب طاقته". هي منظّمة على أساس المبادئ المركزية للتناظرات الأفقية بدلا عن التوجيه الهرمي، وقد حطّمت في أقل من عشرية أسس السوق التجارية للموسوعات القائمة منذ القرن الثامن عشر.

تمثل ويكيبيديا أكثر الأمثلة معتادة الاستحضار عن الإنتاج اللارأسمالي واللاتجاري الذي انبثق خلال العصر الرقمي: إنتاج من نظير إلى نظير وتعاوني ولاتجاري. وبالمقابل تبدو أشكال الإنتاج الجديدة هذه وثيقة الارتباط بعدد آخر من أبعاد اقتصاد الاتصال اليوتوبية آخر من أبعاد اقتصاد الاتصال اليوتوبية الواقعية مثل الإبداع العمومي و غياب حقوق الملكية الفكرية copyleft licensingوالبرمجيات مفتوحة الاستعمال. ومما لا شك فيه أن ما لا يزال محل تساؤل في ذلك هو ما إذا كانت هذه الأشكال الجديدة فاعلة إلى المدى الذي تساهم به في تآكل أشكال حقوق الملكية الفكرية الرأسمالية المتعارف عليها أو تكتفي بأن تضيف جديدا إلى تنوع الأشكال الاقتصادية التي يتضمنها الاقتصاد الرأسمالي المهيمن.

يجسّد هذا المثالان الفكرة الأساس للبدائل الاجتماعية التي تواجه الطرق المهيمنة في تنظيم السلطة والتفاوت في المؤسسات المعاصرة. وهما، فضلا عن أمثلة أخرى، يفتحان المدى أمام عدد أكثر من أشكال التفاعل الاجتماعي الديمقراطية والمساواتية، ويعكسان التطلعات اليوتوبية نحو تحويل شروط الإنجاز البشري حتى وإن لم يزل يعوزهما التوفق إلى تجسيد تلك التطلعات في مؤسسات حقيقية. إن فهم مثل هذه الإمكانيات هو لب أجندا اليوتوبيات الواقعية.

تتصور المقاربةُ المعتادةُ التنميةَ على أنها مسعى ملزم تكون فيه العدالة والحرية محاطتين ومسنودتين في آن معا مكانيا واجتماعيا بالدولة الديمقراطية المسؤولة عن الوقاية من الأضرار وعن توزيع الخيرات ووضع المقدرات موضع التنفيذ أي وباختصار مفتاح مستودع الأخلاقية الدستورية. ليست هذه مسؤوليات تتحملها أية حكومة بيسر أو بمحض إرادتها ولكنها ومن دون شك مسؤولية الدولة التي بإمكانها ضبط الحكومات وخاصة عندما تكون عرضة لضغط حركات الحريات المدنية وحقوق adivasi .

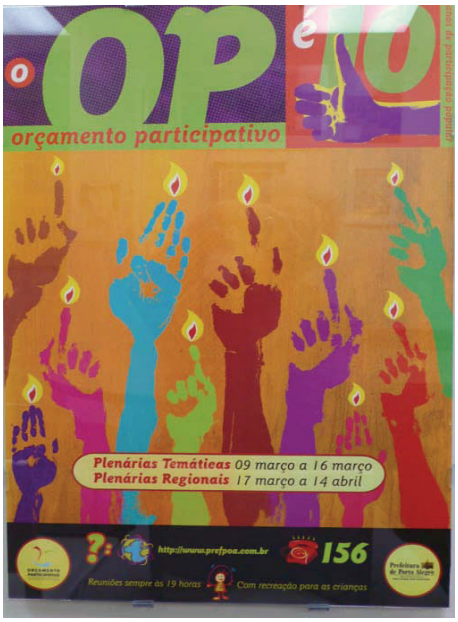

التنمية بوصفها عدالة: يوتوبيا واقعية من الهند

كالبان كانابران Kalpana Kannabiran

مجلس التنمية الاجتماعية، حيدر أباد، لجنة البرامج في الجمعية الدولية لعلم الاجتماع

احتجاجات آديفاسي أمام مقر إقامة الوالي على التهجير في جاهاركهاند

Adivasis protesting in front of the governor's house against displacement in Jharkhand.

في الهند، يتنوع خطاب التنمية المكثف داخليا تنوعا يبدو، على نحو ساخر، مماثلا للتنوع البيئي المدهش لغاباتنا وجبالنا وأراضينا المشجرة على الرغم من عدم بلوغه التثمين الذي كان يمكن أن يبلغه لو تمت المحافظة عليه. بدلا من أن أتّبع مسارا من داخل هذا الخطاب، سوف أحاول أن أظهر بعض الترابطات التي يبرزها عملي مع جماعات آديفاسي وارتباطنا المشترك في سياق ذلك العمل بالدستور وبالقانون. نشير منذ البدء إلى وجود عدة من الطرق في مقاربة "التنمية". تهيمن على الألفاظ التي تتعلق مع اللفظة كلمات "تهجير"، "سدود كبرى"، "تدهور بيئي"،"ثورة خضراء"، "نمو اقتصادي"، بما يُلغم التوطن المسلح وتملك المعرفة الأهلية وتحرير المبادلات التجارية والعولمة. جراء هذه "التنمية" الساحقة، في آن معا بفعل ممارستها وبفعل مقاومتها وهو الأهم، تتوارى عن الأنظار إلى حد ما تلك "التنمية الأخرى" المقرونة إلى الاستدامة والزراعة الموصولة وحماية المحيط وتعهد كل من أنظمة البيئة والمعرفة التقليدية. ويشتمل ذلك، في ما نحن بصدده، على النضالات المحدودة وما لم يبرز منها بعد مما يمتد على شبه القارة الهندية مستهدفا البقاء على قيد الحياة وإحراز ما يُبلّغ الصوت المُطَالبَ والتوصل إلى منظورية تبدي للعيان مقاومة POSCO, Vedanta, Narmada, Chhattisgarh and Manipur ومقاومة Polavaram من بين أمثلة أخرى، قد تملأ قائمتها الوافية كتابا بأكمله. إذا ما استخدمنا أطر هذه "التنمية الأخرى" بوصفها نقطة انطلاقنا فلن يترك ذلك إلا مجالا ضيقا للاعتراض على أن يكون تعدد (كل أشكال الحياة) وتنوعها من ضمن مرتكزاتها. تُشدّد النظرة المتفحصة للنضالات من أجل البقاء تعلى قيد الحياة والكرامة التي خوضها جماعات "التنمية الأخرى" وفاعلوها (أعذروا هذه الصياغة الخرقاء، ولكني مضطر لاستعمالها لأنها بالضبط مغايرة نسقيا وبعيدة بالكامل عن المعيار المعتاد) على أن عدم التوصل إلى تحقيق العدالة هو لب المشكلة. ولئن كان من المهم النظر إلى التنمية بوصفها حرّيةً ورسمًا دقيقًا لطرق كفيلة بإنجازها عبر التمكين من المقدرات (راجع المدونات الضخمة في ذلك وخاصة منها ما كتبه كل من مارتا نوسبوم Martha Nussbaumوأمارتيا سين Amartya Sen)، فمن الضروري كذلك إعادة النظر في حدود تلك الحرية وذلك التمكين في خصوصيتهما التاريخية والاجتماعية، إذ يتوجب فهم الطرق التي بها يُولّد بها نظامُنا الاجتماعي التنميةَ والتخلّفَ واللاحريةَ (إذا ما استعدنا مناقشات أكثر قدَمًا). من بين جماعات آديفاسي، تتوزع أكثر من 500 قبيلة مُجَدوَلَة ومعترف بها بموجب الفصل 342 من الدستور الهندي على امتداد البلاد باستثناء ولايات البنجاب وهاريانا ودلهي وبونديشيري وشانديغاره. يحتضن وسط الهند وشمال شرقها أكثر تجمعات آديفاسي بنسبة تتجاوز الخمسين بالمائة في ولايات لاكشادويب ودادرا وناغار هافيلي الواقعة في الشمال الشرقي. وفي الخطاب الرسمي، توصف ما يناهز 75 منها بأنها جماعات قبلية بدائية (ج ق ب) وهو وصف موضوع على أساس السّكن والاقتصاد وعدد السكان ولكنه، في الآن نفسه، واصم لها.

يفهم اللاتمييز والحرية في منحى متميز جدا لدى آديفاسي. يتطلب تجميع الغذاء وممارسة زراعات التداول لدى الرحل وشبه الرحل من القبائل تماما كما هو عليه الأمر بالنسبة لقبائل الرّعاة والقنّاصة ضمان حرية التنقل والحق في الحراك الترابي. كما تحتاج القبائل التي تعيش في المناطق المعترف باندراجها في الجدولين 5 و 6 من الدستور الهندي الحق في البقاء في هذه المناطق من دون الخشية من أن يبعدوا بحيث يطمئنون إلى ضمان حريتهم في ألا يُرَحّلُوا. لا تتوفر للأشخاص المنتمين إلى القبائل المُجَدوَلَة والتي تعيش في مناطق غير مُجَدوَلة ضمانات لحماية مَوَاطنهم حتى وإن كانت تلك هي حالها على مدى أجيال. في كل هذه الحالات يُترجم عن الحق في الحرية بتحديدات ترابية – مَوطنية يمكن أن تكون متحركة أو ثابتة ولكنها تمنح هوية خاصة لساكنتها تسمح لهم باعتماد ممارسات متميزة لتحصيل القوت. كانت العلاقة بالأرض في قلب ارتباط آديفاسي بالقانون وبالدستور في كلا حالتي جماعات الفلاحين وغيرها من الجماعات بحيث أُحرزت أكبر الانتصارات على أثر معارك خيضت في أروقة المحاكم.

بما أن أغلب جماعات آديفاسي من ساكني الغابات، فإن مسألة الموطن لا تقتصر عندهم على الأرض بل تمتد إلى حضورهم في كامل المجال الغابي. وعليه فإن هموم هذه الجماعات لا تقتصر على تحصيل القوت أو تأمين المسكن فحسب بل تمتد أكثر من ذلك إلى ما يشمل البيئة والمحيط وأنظمة المحافظة والتجدد والمعرفة التي تمثل كلها مكونات للاقتصاد السياسي الغابي. وبسبب ارتباطهم اللصيق بحياة الغابة فإنهم يمثلون أهدافا سهلة لسلطات حماية المحيط والمحافظة على الغابة ومجموعاتها. وتنشأ عن إقامتهم في المجال الغابي نضالات حول الحاكمية والاستقلال الذاتي وتحديد المصير كما حول الحقوق الغابية، وهي النضالات التي تهدد أسس تصور السيادة الذي تحمله دولة التنمية النيوليبرالية، بل إن ذلك الدفاع عن الاستقلال الذاتي الذي يعبر عنه شعار آديفاسي القائل "ماآفا ناآت، ماآفا راآج" (أرضنا، حكمنا) كما جدولا الدستور الهندي الخامس والسادس، هما ما يحمي تخصيصا مواطن آديفاسي ويؤمن اللغة والأدوات والاستراتيجيات التي بها يواجهون السيادة المتصلبة والهيمنية والعنيفة التي تسعى إلى الحد من مشمولات تطبيق الدستور. جد آديفاسي أنفسهم تدريجيا في مواجهة لوبي واسع النفوذ في المحكمة العليا يستقر، ماديا واجتماعيا، على مسافة تفصلهم عنه ببعد شاسع، ولكنهم أكدوا حقهم بإصرار كان هو ميراثهم الأول على تعاقب الأجيال على الرغم من ميل الخيال الشعبي إلى وصمهم بالسذاجة والافتقار إلى الدهاء.

وضُمّم مرسوم بانشايات لتوسيع المناطق المجدولة (لاحقا مبتمم) الصادر سنة 1996 ومرسوم القبائل وجماعات متساكني الغابات التقليدية الأخرى الصادر سنة 2006 (مرسوم الاعتراف بالحقوق الغابية المعروف بمرسوم الحقوق الغابية محغ) بغية تعديل الحاكمية والاستقلال الذاتي. وبوصفهما ذاك فقد صارا بمثابة مانعة الصواعق في ما اعتمل من الصراعات والمحاورات بين شبكات آديفاسي على امتداد البلاد. وتتعين الدلالة المهمة في ذلك في كون المطارحات التي انتظمت حول المرسومين تمثل تدربا على الدستورية الشعبية بل والانتقالية. يتوجب من منظور آديفاسي أن يترجم التمتع بالحق في عدم التمييز في ظل الدستور الهندي والحق في الحرية وفي التحرر من استعمار داخلي وهي الحقوق التي تأكدت على الورق عام 1950 أي في السنة التي وضع فيها الدستور موضع التنفيذ. ومن المناسب إذا وضع مبتمم ومحغ ضمن إطار أخلاقية دستورية. يحتاج التطبيق السلمي لدستور ديمقراطي، بالنسبة إلى آمبدكار Ambedkarالمدافع الكبير عن الحقوق الشعبية والدستورية إلى "شكل من الإدارة مناسب لشكل الدستور وموافق لاتجاهه". بإمكاننا الآن إعادة وضع السؤال: كيف ينتج التمييز إقصاءا خارج التنمية منظورا إليها على أنها عدالة؟ إن ما يتطلب التقدير في إطار بناء فكرة التنمية هو هذا السياق متعدد المستويات من التمييز وتعدد أشكال القهر المتظافرة. وعلى اعتبار خصوصية مظاهر التمييز وتصاعدها واتجاهها نحو استدامة ذاتها بذاتها يتوجب ألا تظل فكرة التنمية، مثلما كان عليه الأمر في أغلب ما مر من الماضي، مشروعا مضادا للدستور بل أن تدخل ضمن حقل الدستورية وأن تُشعّب من أدواتها. وعلى الرغم من إمكانية الولوج إلى حقل العدالة من مداخل متعددة، فإن استخدام الدستورية من أجل إحكام الربط بين التنمية والعدالة تظل فكرة مثمرة. ما هي مظاهر الدستورية التي تعتبر ضرورية لقيام فكرة التنمية هذه بوصفها عدالة؟ إذا ما اتفقنا على أن التعددية والتنوع من غير إضرار هما، على المستوى المثالي، نبض المجتمع الحي والعادل وأنهما إذا مركزيان بالنسبة إلى فكرة التنمية، صار من المناسب التساؤل عن الطريقة التي يعالج بها الدستور هذا الوجوب.

تؤطر المقاربة الدستورية للتنمية على أنها مسعى مقيد تكون فيه العدالة والحرية، مجاليا واجتماعيا، مسيجتين بالدولة الديمقراطية ومعتمدتين عليها معا، على اعتبارها مسؤولة عن الحماية ضدا عن الأذى وكذا عن توزيع الخيرات والتمكين من المقدرات، أي باعتبارها وباختصار ضامنة للأخلاقية الدستورية. ليست هذه مسؤوليات يسيرة أو خفيفة الحمل على الحكومة ولكنها بكل تأكيد مسؤولية الدولة التي بإمكانها إلزام الحكومات بالانضباط وخاصة إذا ما كانت محط ضغوط من قبل حركات الحريات المدنية وحقوق آديفاسي.

ركن التاريخ:

الجمعيات الوطنية ولجان البحث

جينيفر بلات، ناشبة رئيس الجمعية الدولية للمنشورات

تتمتع الجمعيات الوطنية بالعضوية الجماعية في الجمعية الدولية كما أن لجان البحث تمثل جزءا حيويا من بنيتها الداخلية، ولكن تغييرات كبيرة طرأت على مهام المُكوّنَين على مر الزّمن. فعندما تأسست الجمعية الدولية سنة 1949 تحت إشراف اليونسكو استُخدم موديل التمثيل الوطني المعتمد في الأمم المتحدة. لم يكن يوجد إلا القليل من الجمعيات العلمية الاجتماعية في ذلك الزمن. تغير ذلك بسرعة بفضل ما كان من تشجيع البلدان على بعثها، وبحلول سنة 1959 كانت 35 جمعية قد التحقت بالجمعية الدولية. تَكَوّنَ مجلس إدارة الجمعية من ممثلي البلدان العضوة الذين انتخبوا اللجنة التنفيذية من بينهم هم. وكان للتنفيذية لجنة فرعية للبحث قررت البدء بالعمل على مسائل التراتب الاجتماعي والحراك. ولكن ذلك تشعّب في منتهى السنوات 1950 إلى بحوث في ميادين أخرى مثل العائلة والتي كانت لها لجان فرعية حسب البلدان، ومع ذلك، ظلت كل واحدة منها مجرد مجموعة عمل صغيرة تنتدب أعضاءها حسب الدعوات بما لا يزيد عن العضوين الاثنين من ذات البلد.

وبمرور الزمن صارت لجان البحث ذات نشاط ما بين دولي أكثر فأكثر وجديرة إذًا بدور أكثر بروزا. سنة 1970 فتحت تغييرات مؤسسية هامة لجان البحث وأدخلت العضوية الشخصية في آن معا فيما لم يعد أعضاء هذه اللجان معينين من المجلس الإداري. بعث مجلس البحث وانتخب أربعة أعضاء ليلتحقوا بالأحد عشر عضوا ممثلا وطنيا في اللجنة التنفيذية. باتت لجان البحث الأكثر انفتاحا أوسع ولم يعد بعض الأعضاء ناشطين في ميادين بحوثهم المعتادة، فيما صارت لجان البحث المشتركة أقل فاعلية. وبالتدريج صارت لجان البحث أكثر بروزا في الإدارة وأدخلت سنة 1994 البنية الحالية حيز التنفيذ حيث تلتقي لجان البحث والجمعيات الوطنية على اعتبارهما مجلسا ويصوت أعضاؤهما على نصف المقاعد ويصنفون ضمن اللجنة التنفيذية.

انتخبت لجان البحث نائب الرئيس المكلف بالبحوث ولكن ذلك أثار عدم رضا بعض ممثلي الجمعيات الوطنية جراء الدور المحدود الذي لعبوه في ذلك. واتُفق سنة 2002 على إيجاد منصب نائب للرئيس للجمعيات الوطنية وانتخب سوجاتا باتل Sujata Patelبوصفه أول من احتله، وجعل ذلك الجمعيات الوطنية نشطة من جديد. تمكن نائبا الرئيس من تطوير موديل تنظيم مؤتمر على هامش الاجتماع النظامي لمجلسهما ما بين مؤتمرين، ويسمح هذا الإجراء في الآن نفسه بمشاركة أكثر فعلية واتساعا في شؤون الجمعية الدولية كما يجمع بين بُنى الإدارة ومناويل الحياة الفكرية. وتعرض المنشورات الجماعية التي ظهرت طوال السنوات الأخيرة صورة عن الطاقة الفكرية التي ولّدتها هذه البنية الثنائية.

تكريم روبرت ك. مورتن

بقلم ناديا آشيلووفا، مركز علم اجتماع العلوم والدراسات العلمية، فرع سان بيترسبوغ، أكاديمية العلوم الروسية، عضو هيئة لجنة البحث 23، وحام خيمينيز، جامعة المكسيك الوطنية الحرة، اللجنة التنفيذية للجمعية الدولية لعلم الاجتماع

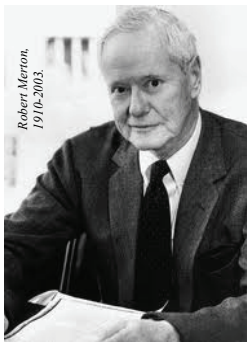
Robert Merton, 1910-2003.

حتُفلَ خلال شهر جويلية من سنة 2010 بعيد الميلاد المائة لروبرت مورتن Robert Merton، الذي كان أحد علماء الاجتماع الرواد في القرن العشرين. لم يكن حلول تاريخ ميلاده هو وحده ما جعلنا نلتفت إليه بل أيضا كَون اسمه وثيق الارتباط بانبثاق علم اجتماع العلوم والاعتراف به بوصفه حقلا فرعيا من علم الاجتماع. كان مورتن سنة 1966مؤسسا مشاركا (بمعية جوزف بن- دافيد-Joseph Ben David) للجنة البحث 23 في الجمعية الدولية لعلم الاجتماع- علم اجتماع العلوم (والتكنولوجيا)، وبعدها صار أول رئيس لها وحتى العام 1974، كما كان عضوا مشاركا في اللجنة التنفيذية للجمعية الدولية في 1970-1971.

ولد مورتن في فيلادلفيا سنة 1910 لوالدين مهاجرين من أكرانيا. ويرتبط اسمه بالعديد من اتجاهات البحث في علم الاجتماع ولكن الأهم كونه أب لعلم اجتماع العلوم، بحيث صارت العبارة "علم اجتماع العلوم المورتني" مقبولة على نطاق واسع لدى الجماعة العلمية. كان مورتن أول عالم اجتماع يحرز الميدالية الوطنية للعلوم أعلى أوسمة العلوم في الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1994. وضع مورتن، عبر التركيز على نظريات "المدى المتوسط" بدلا عن الاهتمام بالنظريات الكبرى والتجريبية التجريدية، مفاهيم تم إدماجها في الحياة اليومية. لقد سك مفهوم "نبوءة التي تحمل في طياتها بذور تحقيقها " (*self-fulfi lling prophecy*) وطوّر فكرة "موديلات الدور" (*role models*) وابتدع، بمعية زملائه "المقابلة المركزة" التي تم تطويرها لاحقا لتكون "مجموعة التركيز" (البؤرة) وهو تشويه لفكرة مورتن الأصلية.

استقطب مورتن سنة 1942 الكثير من الاهتمام حينما وصف إيتوس (أخلاقيات) العلم وآثارَ قيَمه في سلوك العلماء أثناء عملهم المؤسسي. وكان لعمل مورتن آثار خارج أسوار الجامعة بما في ذلك دراسته للجماعات ناجحة الاندماج التي ساعدت على الهندسة الشكلية لحالة *براون مقابل هيئة إدارة التربية* (Brown vs. Board of Education) التي كان من آثارها أن أدت إلى إصدار قانون المحكمة العليا القاضي بإزالة التمييز العرقي من أنظمة التعليم العمومي في الولايات المتحدة. أشهر ما عرف به مورتن هو على الأرجح عمله المعنون *علم اجتماع العلوم : استقصاءات نظرية وميدانية*، وكذا سكه *أثر ماثيو (Matthew effect)* الذي يحيل على ظاهرة *مزيد ثراء الأثرياء و مزيد فقر الفقراء* أي تراكم الأفضليات. يصف المفهوم ذو المصدر الإنجيلي الظاهرة الاجتماعية الماسة بالعلم والتي بموجبها تتزايد السلطة والرساميل الاقتصادية والاجتماعية لدى أولئك الذين يمتلكونها بعدُ والذين يستفيدون إذًا من تلك الموارد لربح المزيد من السلطة أو رأس المال.

صدر عدد خاص يحتفي بعيد الميلاد المائوي لمورتن عن فرع سان بيترسبوغ لأكاديمية العلوم الروسية، ولجنة البحث 23.

Demonstration against Water Privatization at the World Social Forum in 2003.

في مواجهة لاعدالة التمتع بالماء

بقلم خوزي إيستيبان كاسترو José Esteban Castro، **جامعة نيوكاسل (المملكة المتحدة) لجنة البرمجة بالجمعية الدولية لعلم الاجتماع**

حددت "عشرية الماء" التي أقرتها الأمم المتحدة، خلال السنوات 1980، لها هدفا تمثل في توفير 40 لترا من الماء الصالح للشراب يوميا لكل إنسان على وجه الأرض بحلول 1990. وما من حاجة للقول إننا أخلفنا البُغيَةَ حيث لم يقدر، سنة 1990، 17 بالمائة من سكان العالم على الحصول حتى على لتر واحد من الماء النقي فيما عجز 40 بالمائة عن الحصول على الخدمات الصحية الأساسية. وعلى أثر ذلك تبنت الأمم المتحدة الأهداف التنموية الألفية (أ ت أ) سنة 2000. وتبدو هذه إذا ما قارناها بأهداف عشرية الماء أكثر بخلا بل متراجعة فيما يبدو أنه ناتج عن أثر السياسات المحافظة للسوق الحرة التي باتت مهيمنة في السنوات 1990.

تتوقع أ ت أ الخاصة بحاجات الماء والخدمات الصحية الأساس تخفيض نسبة السكان المفتقرين لها إلى النصف في حدود سنة 2015. وعلى الرغم من اعتبار بعض الخبراء الأهداف الجديدة أكثر واقعية من تلك التي كانت قد وضعت في السنوات 1980 فإن ذلك يعني عمليا القبول باستمرار معاناة ملايين الناس وموتهم جراء ما لا يمكن التصدي له من الأمراض في المستقبل المنظور. والواقع أن التقارير الرسمية الصادرة عن هيئات الأمم المتحدة المشرفة على التقدم في إحراز أ ت أ تُظهر على الإجمال أن الوضع في مناطق العالم الأكثر فقرا سيزيد سوءا وأن العديد من البلدان ستخفق في بلوغ الهدف الصحي على الرغم من إمكان بلوغ أغلبها الهدف الخاص بالماء النقي.

ومما يزيد الأمر سوءا أن الاجتماعات المخصصة لأ ت أ تشير إلى تدهور الشروط البيئية على اعتبار أن المزيد من الماء العذب سيسحب من أجل الاستجابة إلى حاجة السكان غير المزودين به وأن تزايدا ملحوظا سيسجل في تدفق مياه المجاري. وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن ما لا يزيد عن 5 بالمائة من مياه المجاري تعالج بطريقة من الطرق قبل إعادة سكبها في المحيط لأسباب عدة من بينها ما تتطلبه من نفقات باهظة، يتضح أن إحراز أ ت أ يتطلب لا جهودا اقتصادية ومالية وتنظيمية جوهرية فحسب بل

الصراعات الاجتماعية وسلعنة الخيرات العمومية:

يمكن أن نعتبر أن المأزق الذي انتهى إليه العالم في هذا الخصوص مجسدا في ما تلقته مبادرة الأمم المتحدة بإعلان الحصول على بضع لترات من الماء يوميا بوصفه "حقا إنسانيا" من معارضة شديدة من العديد من البلدان وخاصة من الشمال الثري. وعلى الرغم من توفق الأمم المتحدة سنة 2010 في إحراز أغلبية من الأصوات تعتبر الحصول على الماء من الإنسان فإن أغلب تلك البلدان التي عارضت المبادرة امتنعت عن التصويت. ليس هذا مفصولا عما شهدته السنوات 1980 من تكريس اتجاه عام في السياسات العمومية على امتداد العالم لحل أزمة الماء والتطهير الصحي يركز على خوصصة الماء والخدمات المستعملة له وسلعنتها وهو م تطلب التخلي عن التصور الذي يعتبر أن الحصول على الخدمات الاساسية هو بمثابة الخير الاجتماعي أو العمومي. وعلى الرغم مما تلقته سياسات خوصصة الماء الصريحة من هزائم في العديد من البلدان فإن سيرورة سلعنته تتقدم سريعا باستقلال عن هوية مانحي الخدمة سواء أكانوا من القطاع العام أو من القطاع الخاص أو من المجتمع المدني. وكثيرا ما تجد الشركات العمومية نفسها ملزمة بالتصرف كما لو كانت صاحبة أعمال خاصة مُقَدّمَةً الفاعلية الاقتصادية (والتي غالبا ما تؤخد على أنها "الربح") على الجدوى الاجتماعية (أي توفير الخدمة لكل الناس بصرف النظر على قدراتهم على الدفع). كما كان على العديد من المتدخلين العموميين أن ينخرطوا في "شراكات" مع القطاع الخاص وهو ما يؤول فعليا غالبا إلى خوصصة مختلفة التسمية وذلك للحصول على اعتمادات استثمارية. ولا تزال مثل هذه المشاكل وغيرها، التي تشمل ممارسات طويلة الأمد من الفساد وانعدام الفاعلية وعدم المساءلة المُمَيّزة لإدارة الخدمات العمومية في العديد من الحالات لا في البلدان الفقيرة فحسب، تمثل مصدرا لتكاثر المواجهات الاجتماعية والسياسية.

من الواضح أن الحصول على الحاجة الأساس من الماء ومن التطهير الصحي تمثل مظهرا أساسا من مظاهر الحياة المتمدنة يظل بعيد المنال عما يطوله قسم واسع من الناس. على أن المشاكل التي تم إبرازها أعلاه لا تمثل إلا ما يظهر من جبل جليد الشروط البنيوية للتفاوت واللاعدالة المميزة للعلاقة بين الإنسان والماء وبينه وبين المحيط الطبيعي عامة. ومن دون الخروج عن موضوع الماء فإن أمر وصف الطابع متعدد الأبعاد لتلك الشروط يحتاج، ولو كان عاما، مجالا أوسع بكثير مما نحن فيه، وعلى ذلك، فإن من القضايا ذات الصلة ما تبرز بصفة خاصة حاجة لاختصار ذكره. يشمل ذلك الانتشار غير المراقب للعمل في مناجم الهواء الطلق التي اتسعت منذ السنوات 1990 إلى مناطق من الكرة الأرضية كانت فيها الأشغال المنجمية هامشية تقريبا مثلما هو عليه الحال في العديد من بلدان أمريكا اللاتينية. راهنا تدمّر أشغال مناجم الهواء الطلق الممتدة من مكسيكو حتى باتاغونيا كتل الجليد والغابات ملوثةً الماء والتربة بالسيانيد والزئبق ومواد مضرة أخرى مسممة الساكنة ودافعة إياها، غصبا على الغالب، إلى الهجرة. إن ما يكمُنُ في جذر النزاعات الاجتماعية الممتدة إلى كل أرجاء العالم ، وإن أُخمد صوتُها وكُتمت أنفاسها، هو التجريد الغابي ذو الآثار الأكيدة على الأنظمة المائية والجيولوجية وعلى الجماعات البشرية والمناخ الكوني بصفة أعم، وتشييد المنشآت المائية الأساسية التي تتطلب أعمالها بناء السدود وتحويل مجاري الأنهار وحفر الطرق المائية وهدم الأنظمة البئيية المائية الهشة مثل الغابات الاستوائية والمستنقعات لإخلاء المجال لتوسع أنشطة الأعمال.

في مواجهة التفاوت في التوزيع المائي ولاعدالته:

من منظور سوسيولوجي الذي يؤكد على القوة التغييرية للمعرفة العلمية، تبدو هذه السيرورات ذات وجهين. فهي مُناسبةٌ من حيث مواضيع للدراسة وجديرة بها من ناحية ولكن ومن الناحية الأخرى،

للمعرفة الناتجة عن مثل هذه التوجهات الفكرية تبعات عملية جدا ومادية وسياسية بالأساس سواء أتم الإقرار بذلك أم لم يتم.

ويمثل ذلك أساسا لما يقوم حاليا من جهود بحثية متداخلة اختصاصاتها ومتقاطعة تهتم بقضايا التفاوت في التمتع بالماء ولاعدالته في أمريكا اللاتينية وفي الكاريبي وتشرف عليها شبكة البحوث واترلات (www.waterlat.org) WATERLAT. وتتأطر مقاربة شبكة البحث بثلاث فرضيات كبرى:

الصبغة الرأسمالية لإدارة الماء والتصرف فيه: ويبدو ذلك في كون الدينامية المركزية التي تهيكل أكثر فأكثر الأنشطة المتعلقة بإدارة الماء والتصرف فيه على مستوى العالم تخضع إلى حد كبير إلى سيروة تراكم رأس المال. تخضع الأفكار من قبيل الحاجة إلى القضاء على ما يهدد استدامة المحيط والتفاوت واللاعدالة إلى الديناميات المهيمنة على سيرورة التراكم.

التولد الاجتماعي للعجز عن المدافعة (*defencelessness*) في العلاقة مع الماء. يتعرض الناس إلى نطاق واسع من الأخطار والمخاطر المرتبطة بالطرق التي يدار بها الماء ويتصرف فيه، وتتحدر تلك الأخطار والمخاطر من عدد من الأسباب تمتد من العجز عن الحصول على الماء النقي والخدمات المتعلقة به إلى التعرض إلى أثر الظواهر الطبيعية والبشرية مثل الفيضانات والجفاف أو التلوث. وعلى الرغم من تعاظم المعارف التقنية العلمية المعقدة وكذا القدرة على الاستشعار والتدخل لا تزال مثل هذه الأخطار والمخاطر من أكبر ما يواجهه الحضارة الإنسانية من تهديدات. لا تركّز واترلات تأكيداتها على دراسة انعدام المناعة و الهشاشة لدى البشر بل وأساسا على التولّد الاجتماعي للعجز عن المدافعة إزاء هذه التهديدات ذاك الذي يمس قسما كبيرا من سكان العالم.

مواجهة العجز عن المدافعة عبر إضفاء صبغة ديمقراطية فعلية على استخدام الماء وإدارته ومراقبته بل وأيضا على إنتاج المعرفة حوله والحصول عليها. تتبنى واترلات مقاربة متداخلة الاختصاصات تجمع بين آكاديميين وتشكيلة واسعة من الفاعلين الاجتماعيين المنخرطين في النضال من أجل إضفاء الصبغة الديمقراطية على : الأنشطة المتعلقة بالماء. ومن بين هؤلاء صانعو سياسات ومستفيدون منها ومتصرفو مياه وحركات اجتماعية واتحادات مهنية وجماعات أهلية.

نظمت واترلات اجتماعاتها السنوية لسنة 2010 في ساوباولو في البرازيل واشتملت على ندوة دولية من ثلاثة أيام تناولت "التوتر القائم بين العدالة الاجتماعية والعدالة البيئية: حالة التصرف في الماء". ضمت الندوة حوالي 300 مشارك من الأرجنتين وبوليفيا والبرازيل وكندا والشيلي وكولومبيا وكوستا ريكا والإكوادور وهايتي وإيطاليا والمكسيك ونيكاراغوا والبيرو وإسبانيا والسويد والمملكة المتحدة والأوروغواي وفينيزويلا. ويتوفر كتاب إلكتروني جمع أكثر من 1000 مساهمة قدمت في المناسبة (معظمها بالإسبانية والبرتغالية) (http://www.waterlat.org/publications.html) كما يمكن الحصول تحت الطلب على دي في دي تأليفي للأنشطة يتضمن مقتطفات فيديو تسجل المداخلات الافتتاحية واستجوابات للمشاركين (على العنوان الإلكتروني waterlat@ncl.ac.uk)

سينتظم الاجتماع القادم للشبكة في مكسيكو في ما بين 24 و26 من شهر أكتوبر 2011 في ضيافة أحد أعضائها ممثلا في الكلية الامريكية اللاتينية للعلوم الاجتماعية (FLACSO Mexico) وسيخصص "للنضال ضد التفاوت في التمتع بالماء ولاعدالته في أمريكا اللاتينية والكاريبي" وسيتضمن محاضرات تمهيدية وموائد مستديرة وورشات واجتماعات عمومية. سيركز كل يوم على موضوع واحد فاليوم الأول مخصص للبحث في "أشكال التفاوت في التمتع بالماء ولاعدالته والعجز عن المدافعة"، فيما يعالج اليوم الثاني مسائل "التفاوت واللاعدالة والعجز عن المدافعة على واجهة الماء والصحة العامة" فيما يركز اليوم الثالث أخيرا على "مواجهة التفاوت في التمتع بالماء ولاعدالته والعجز عن المدافعة: تحد متعدد الاختصاصات". وتتوفر المعلومات المحينة الخاصة بالاجتماع على الرابط التالي

علماء اجتماع شباب، مناظير شابة

آنا فيدو، جامعة برشلونة

Young Sociologists of Catalonia.

"دورنا أساسي في علم الاجتماع... إن حضور 300 منا نحن علماء الاجتماع الشبان هنا اليوم يمثل دفعا لمستقبل الاختصاص". بهذه الكلمات افتتح رئيس جمعية علماء الاجتماع الشبان، التي تجمع حاملي شهادات الماجستير والباحثين الشبان، المؤتمر الكاتالوني لعلماء الاجتماع الشبان الرابع الذي انتظم يومي 29 و30 أفريل (نيسان) 2011 في برشلونة. ولأول مرة التحق طلبة من مستويات الإجازة والماجستير والدكتورا من مدريد وغرانادا ومالاغا وبلنسية بزملائهم الكاتالونيين. قدّم ما يقارب 90 بحثا في مواضيع مثل الهويات والعنصرية والبطالة والديمقراطية والجنس والبيئة بحيث تبين لزملائنا ولأساتذتنا تعلقنا بعلم الاجتماع.

أُستُهلّ المؤتمر بمحاضرة افتتاحية قدمتها بون نغاي Pun Ngai من جامعة هونغ كونغ متعددة الاختصاصات التقنية، ووصفت في ثناياها التزام علماء الاجتماع الصينيين الشبان بالبحث في الاستغلال في ميدان العمل وعملهم على إدانته. شاطرها المستمعون إليها قضيتها تلك حينما أبرزت الطرق التي يمكن لعلم الاجتماع عبرها أن يساهم في المزيد من إفشاء الديمقراطية في المجتمع. لقد ألهمتنا مشروع بناء شبكة كونية من علماء الاجتماع الشبان.

كانت لنا مناقشة في المائدة المستديرة المهتمة بمستقبل علم الاجتماع حول الطريقة التي يمكن بها للعلم أن يتحول إلى خدمة عامة. "يجب أن نتوقف على تحليل ما نحن على معرفة به بَعدُ، يجب أن نكف عن النشر في المواضيع التي لا تمس إلا اهتمام جمهور ضيق والالتحام بدلا من ذلك بمطالب المجتمع". كانت لنا كذلك جلسات حول مهننة علم الاجتماع وحول تقاسم المعرفة كما تجارب في البحث المطبق والبحث الأكاديمي، ووفرنا مساحة لمناقشة مستقبلنا في المهنة وإمكانية التعاون مع منظمات أخرى مثل "الجمعية الكاتالانية لعلماء الاجتماع المحترفين وعلماء السياسة". ينظّم المؤتمر شبكة من علماء الاجتماع الشبان المهتمين بتطوير علم اجتماع صارم علميا وملتزم اجتماعيا. سيطوّر موقع إلكتورني لفائدة جمعية علماء الاجتماع الشبان بالتوازي مع حضورهم على الفايسبوك وتويتر. وأخيرا وليس آخرا كان حفل المؤتمر لحظة مهمة أخرى حيض مكننا من تطارح الأفكار وابتداع المشاريع ونسج الصداقات ومن الرقص أيضا.

علم الاجتماع في خضم الثورة الإسبانية

تيريزا سوردي جامعة برشلونة الحرة،
تاتيانا سانتوس جامعة جيرونا

Catalunya Square, Barcelona – "This place has been reclaimed by the people".

أسمت صحيفة واشنطون بوست *The Washington Post* حركتنا التي انطلقت في الخامس عشر من ماي (أيار) "الثورة الإسبانية"، وهي الحركة التي انتشرت خارج إسبانيا ووصلت أمداء في بُعد اليابان. وظّف المواطنون الفضاء العام للمناقشة والمحاججة انتهاء بالاتفاق على الكيفية التي يريدون بها إعادة تنظيم الإسكان والرعاية الصحية والتعليم ومجالات أخرى من الحياة الاجتماعية. بلور الناس مقترحاتهم الخاصة عبر شكل "حواري" من الديمقراطية يرتكز على مناقشة المجتمع المدني ذاته بذاته وهو النقاش الذي انتظم بعيدا عن مؤسسات الحكم وصناعة القرار الشكلية. ومن الأفكار التي انبثت بشكل واسع بين الناس تلك التي تعتمد مبدأ "ما من أحد يمثلنا". وعليه، طوّرت حركة 15 ماي شكلا سياسيا متميزا يرتكز على تنظيم المجتمع المدني نفسه تنظيما ذاتيا جماعيا عبر المجالس، وبذلك انفتحت الفضاءات العامة في وجه أناس ذوي ثقافات وأعمار ومستويات دراسية مختلفة ومنحت لهم فرصا متساوية للتعبير عن رؤاهم.

في الساحة الكاتالونية ببرشلونة وجدنا أحد هذه الفضاءات، واحدة من أضخم أغورات هذه الحركة (الآغورا هي ساحة المناقشة العامة في أثينا اليونانية- المترجم). النقطة الأهم في خضم الاعتصام الدائم في الساحة هي المجلس العام اليومي الذي كانت ترعاه لجان رُكّزت على أساس احتياجات الحركة ومتطلباتها. يمكن لأي وافد على الساحة أن يلتحق بأية واحدة من اللجان فيما تحتل كل لجنة فضاءًا يخصص لما يقوم به وسطاء ميسرون يتناوبون على مدار الساعة على تنسيق الاجتماعات. إذا ما كان نشب خلاف يعاد نقاش المسألة في الاجتماع اللاحق، وإذا ما أثارت مسألة خلافا في المجلس العام تعاد إلى اللجنة التي منها انبثقت، كما يدعى غير الموافقين إلى الاجتماع لبيان وجهة نظرهم فيما يوجد فريق مختص يعمل بالتناوب على إعداد برامج المجالس.

تلقى هذه "الديمقراطية الحقيقية" الدفع والانتشار والتوسع عبر شبكات اجتماعية ترتكز إلى حد كبير على الفايسبوك وتويتر ومدونات عدة وشبكة الإنترنت والمنتدى الافتراضي المباشر (على الخط). تنشر صفحة الإنترنت، قبل الموعد بأربعة و عشرين ساعة، برنامج كل اللجان تماما كما المواضيع المهمة التي يُتَهَيّئُ للتصويت عليها في المجلس العام. وتنتظم على المنتدى المباشر مناقشات تتوازى مع تلك التي تحتضنها الساحة، الناس هم أنفسهم من يُقرّرون أهم المسائل التي تواجه الحركة.

Catalunya Square, Barcelona - General Assembly in Session.

تلك كانت الحالة التي مَثُلَت أمام المشاركين في اتخاذ القرار بمواصلة التعبئة على الرغم من صدور حكم المحكمة العليا والمحكمة الدستورية المساند لرفع الاعتصام.

يشارك العديد من علماء الاجتماع في حركة 15 ماي. لم نكن هناك لمد جمع المواطنين "بحقيقة" تأويل ما كانوا يقومون به أو بتقرير ما كان عليهم القيام به، وهو موقف يرفضونه تمام الرفض. ولكننا لم نكن بالمقابل في ذلك المكان من أجل المشاركة من غير مساهمة في الحوار. كان الماطنون في الساحة يريدون منا أن نُطَعّم المناقشات بمعارفنا السوسيولوجية. كنا هناك من أجل تطوير مقاربة حوارية للديموقراطية واضعين موضع الممارسة علمَ اجتماع عموميًا يبين قيمة علمنا الاجتماعي لكل من كان اجتماعهم قد التأم هناك ولمن هم أبعد منهم.

كان هناك مناصرون "لعفوية" معادية لعلم الاجتماع اعتبروا أن ما من أحد طان قادرا على التنبئ بهذه الحركة. ليس ذلك صحيحا، حيث دعينا يوم 12 افريل(نيسان) إلى إطلاق ما أسميناه ثورةً من أسفل ذات ديمقراطية مباشرة ونداءات تطلق عبر الإنترنت. ألح واحد من أساتذة علم الاجتماع على خطورة الوضع الاقتصادي والاجتماعي، مشيرا إلى مثال الحركات في شمال أفريقيا ليبين الكيفية التي تتقاسم بها الجماهير التي تواجه في أنحاء مختلفة ظروفا متباينة الحلم بنفس الثورة. بل هو وضع تاريخا للانتفاضة محددا إياها في ما بين السادس و العشرين من أفريل والحادي و الثلاثين من ماي، ومنذ ذلك اليوم فصاعدا لم نتوقف على التنظيم وعلى نشر قناعاتنا بإطلاق شرارة هذه الثورة.

عمل علماء الاجتماع بما أفادتهم به تكهناتهم مساهمين في مداولات الآغورا ومعتمدين على ثراء علمهم المتخصص. ولكن الثورة الإسبانية لم تكتف بالاستفادة من علمنا الاجتماعي بل ساهمت أيضا في إثرائه بحيث أصبحنا أكثر قدرة على فهم شروط إمكان الديمقراطية الحوارية.

عمل كوني، منظور جنوب أفريقي

بقلم إدوارد ويبستر، جامعة ويتواترزراند، جنوب أفريقيا

Edward Webster, University of Witwatersrand

يُروَى عن المؤرخ الإنكليزي إ. هـ. كارّ (E.H. Carr) أنه لاحظ أن ما يُرى مرهون بالوقوف على هذا الجانب من الجبل عوضا عن ذاك. أنا، وقفت على القمة الجنوبية لأفريقيا، في جوهانسبرغ، مدينة الذهب التي كانت بُنيت خلال حقبة العولمة الأولى، حقبة التغيير الكبير الأول، أواخر القرن التاسع عشر.

أقوم، في هذه المحاضرة، بثلاثة أشياء: 1) أعرض السياق الاجتماعي الذي فيه يمكن أن نفهم العمل الكوني (global labor) من منظور جنوبي، 2) أناقش عملي الخاص المهتم بآثار إعادة الهيكلة الكونية على العمال، 3) اقترح طريقة مغايرة لفهم الكيفية التي بها يمكن أن تُبنى حركة مضادة في الجنوب.

السياق الاجتماعي

تعود فكرة تضامن العمال، أي الفكرة القائلة بمساعدة القوي للضعيف، إلى بدايات التصنيع الرأسمالي، ويمكن التقاطها في شعار كارل ماركس الشهير: "ياعمال العالم اتحدوا".

سنة 1922، اتخذ نداء وحدة العمال هذا في جنوب أفريقيا شكلا غريبا عندما تجنّد العمال حول الشعار القائل "ياعمال العالم اتحدوا من أجل جنوب افريقيا بيضاء". فشل أوائل الاشتراكيين أولئك الذين جلبوا فكرة الأممية العاملية من أوروبا في إقناع رفقائهم من العمال البيض، المستعمرين، بأن قدرهم مرتبط بقدر العمال السود، المستعمَرين. ودافع العمال البيض عن موقفهم محتجين بأنهم مهضومو الحق جراء بخس أثمان بيع قوة العمل السوداء.

يظل انقسام الطبقة العاملة هذا التحدي الأكبر الذي يواجه التضامن العمالي إذ لا توجد هاهنا و لا في أي مكان آخر من العالم حالة من الهيمنة البروليتارية، تماما مثلما كان عليه الأمر في منتهى القرن التاسع عشر. يبدو، في الكثير من مناطق العالم، أن عملا سيئا أفضل من انعدام العمل بالمرة. ولكن العمال السود، وتلك هي القصة التي يجب أن تروى، ناضلوا زمنا طويلا حتى ظفروا بحقهم في التنظم والالتحاق بالاتحاد (النقابي) العمالي. كان نضالهم من أجل الظفر بالاعتراف باتحاداتهم مديدا وشاقا في مواجهة أعراف متصلبين ودولة ميز عنصري معادية ومتعجرفة.كان التضامن الأممي واحدا من أهم عوامل انتصارهم، حيث كانت الحملة من جل مقاطعة جنوب افريقيا وإيقاع العقوبات المالية بها حاسمة في إقناع حكومة التميز العنصري بالتفاوض مع المؤتمر الوطني الأفريقي بزعامة نيلسون مانديلا (Nelson Mandela). فقد كان التضامن الذي أظهره عمال ميناء سان فرانسيسكو عندما رفضوا تفريغ شحنات البواخر حنوب الأفريقية واحدا من بين أمثلة عديدة عن ذلك التضامن الأممي.

كان انتصار المؤتمر الوطني الافريقي سنة 1994 انتصارا هشا ذلك أنه تحقق في عالم كانت فيه القوة قد تحولت لفائدة رأس المال بصفة حاسمة. كانت جنوب افريقيا تعيش تحولا مزدوجا: كان تحولا نحو الديمقراطية أحرزت فيه حركة النضال العمالي حقوقا معتبرة من جهة، وأدخل من جهة أخرى الاقتصاد المعولم التي كانت المنافسة الدولية تجبر فيه العمال على التخفيض من الكلفة والإنتاج حسب الثمن الصيني.

لنلتفت إلى أثر إعادة الهيكلة الكونية

من منظور العمل عنت سيرورة إعادة الهيكلة الكونية التي كانت انطلقت بالتوازي مع إحراز الديمقراطية إعادة تشكيل سوق العمل بما زاد من عداد قوة العمل غير الآمنة. ذلك ما نتفحصه في كتابنا *أساس العولمة* (*Grounding Globalization*). اتخذنا من إنتاج خيرات بيضاء مثل الثلاجات وآلات الغسيل عدسة مكبرة كاشفة لكيفية تسبب المنافسة الدولية في تزايد عدم الأمان بين العمال في المنشأت الثلاث والبلدان الثلاث التي درسنا:

في إليكترولوكس أستراليا لاحظنا قبولا بالتخفيض من أعداد العمال تزكيه دولة الرفاه. أجاب العمال في آل جي (LG) في كوريا الجنوبية بالترفيع من وتيرة العمل.

في جنوب افريقيا التحق العمال المتقاعدون بمنازلهم منخرطين في استراتيجيات كفافية متعددة ضمن الاقتصاد غير النظامي .

أطّرنا الدراسة باستخدام مفهوم بولانيي (Polanyi) للحركة المزدوجة الذي يشير إلى أن أفضل ما يمكن أن يصف مرحلة العولمة النيوليبرالية هو اعتبارها التغيير الكبير الثاني، وقد وجدنا بالفعل تجارب ومبادرات متواضعة تهدف إلى حماية المجتمع من السوق غير المضبوطة. ولكن تلك الإجابات على إعادة الهيكلة الكونية كانت على الأغلب محلية المدى. كانت المحاولة الوحيدة لعولمة النضال هي تلك التي واجه بها عمال أليكترولوكس في أورانج بأستراليا إعادة الهيكلة تلك. كانوا قادرين عبر الإنترنت على ربط صلات مع عمال ألكترولوكس في غرينفيل، إحدى مدن ميشيغان الصغيرة، بالولايات المتحدة ومع المقر الأم بالسويد.

ولكن محاولة بناء تضامن عمال الإنتاج مع عمال الإنتاج هذه باءت بالفشل. كانت قيادة الاتحاد السويدية قريبة من الإدارة إلى الحد الذي لم تر فيه ما كانت لتجنيه المؤسسة لو كانت نقلت موقعها .

إلى الصين. ولكن " الإخفاق الناجحة " تثمر أسسا ترتكز عليها خطوات النضال اللاحقة نحن نذكر مقاطعة حافلة مونتغمري ولكننا، ومثلما أظهر ذلك آلدون موريس (Aldon Morris)، نعلم أنها كانت مسبوقة بمحاولات عدة أخرى للمقاطعة "فاشلة" وقلما يتم ذكرها.

ما هي آثار ذلك على التضامن العابر للقوميات؟

من المفيد في سياق التفكير في التضامن العابر للقوميات أن نميز بين ثلاثة أنواع منه.

الأول منها أنعته بالإنساني وهو يشتمل على أعمال تضامنية تدافع عن ضحايا خرق حقوق الإنسان مثل ضحايا العنصرية وتشغيل الأطفال أو النضال من أجل افتكاك الاعتراف باتحاد يضم جمعا من العمال. تلك أعمال تقودها إلى حد كبير شعارات أخلاقية يمكنها أن تكون قوية إلى حد ما مثلما أظهرت ذلك حركة مناهضة التمييز العنصري المظفرة. يمكن لهذا الشكل من التضامن أن يتخذ صيغة مقاطعة يقوم بها المستهلكون أو حملات مثل تلك التي خيضت ضد ريو تينتو (Rio Tinto) على قاعدة الحقوق الأساسية للعمال. هذه الحملات يسيرة إلى حد ما وغير مكلفة التنظيم في عصر الإنترنت. أنعت ثاني أنواع التضامن العابر للقوميات بالمقاربة الإنتاجية. تلك أعمال تضامن بين عمال تعتمد الربط بين مصنع ومصنع. هذه الأعمال هي الأعسر تنظيما مثلما عاينا في الحالة الأسترالية إذ أوجدت عولمة الإنتاج منطق منافسة بين البلدان، إذا ما شن عمال جنرال موتورز إضرابا تمكن منتجو سيارات آخرون من بيع أفضل. ولكن وعلى الرغم من هذه العراقيل يوجد ثمة تنسيق للتضامن العابر للقوميات في الإنتاج. يلتئم اجتماع عالمي سنوي لعمال فولكس واغن (ف و) من أجل تنسيق مطالبهم بما يشمل مصانع ف و الموزعة على ألمانيا والبرازيل والهند وجنوب أفريقيا. كان البحارة هم أول قطاع ينخرط في تكاتف جماعي. يُجري مراقبون من فديرالية عمال النقل العالمية تفتيشات على السفن لدى إرسائها في الموانئ، وبمستطاعهم إذا لأول مرة في التاريخ أن يتفقوا على حد عالمي أدنى للأجرة في قطاع ما وفرضه على الملاحين على اتساع العالم. تتحدى هذه الاشكال الجديدة من التنظيم العابر للقوميات الأشكال التقليدية للعمل النقابي القومي التي سادت خلال القرن العشرين. في منظور نموذج أقدم للتضامن الدولي كانت مثل هذه الصلات تتم من خلال قطاعات عالمية متخصصة وكانت أقرب إلى الانعقاد بين قادة الفيدراليات النقابية. وضع الاتصال الحيني والمباشر عبر التراسل الإلكتروني والسكايب كل ذلك موضع التحدي، وعلى ذلك تبدو أشكال الفعل العابر للقوميات هذا غير مركزية وأقرب إلى الاشتغال من الأسفل إلى الأعلى منها إلى العكس.

أنعت النوع الثالث من التضامن بالمعالجة المُعَدّلة. هي لا تسعى إلى التئام شمل العمال بعضهم مع بعض في الإنتاج بل وعوضا عن ذلك تحاول أن تبني جسما مشتركا من القوانين المرنة تشمل حقوقا ومعايير كونية على اعتبار أن الهدف هو تعديل السوق أكثر من إحلال شيئ آخر محله،بهدف جعله، مثلما قال بيتر إيفنس (Peter Evans) خادما للمجتمع عوضا عن أن يكون سيّدَهُ. واحدة من الأفكار الآخذة بالانزراع في الجنوب الكوني تلك القائلة بالأدنى الحقوقي الاجتماعي المتمثل في الحق في راتب والتمتع بالرعاية الصحية والضمان لفائدة الأولاد باعتبارها أدنى أساسيا للدخل سيّان إن كان متأتيا من خلال ضمان عمل أو على صيغة ضمان فوري سائل. تلك هي التجديدات الراهنة في السياسات الاجتماعية في بلدان مثل البرازيل والهند وجنوب أفريقيا.

تمثّل هذه السياسات الجديدة جنين حركة مضادة، ولكنها حركة مضادة من الأعلى حيث تتدخل الدولة في الهند عبر NREGA لتوفير 100 يوم عمل مضمونة في السنة لكل مسؤول عن أسرة، وهي تضمن له ذلك مُسلّمَةً إياه بطاقة عمل. قد يستهين البعض بذلك معتبرينه مجرد إصلاحية واستراتيجية للاحتواء، ولكن ذلك يخطئ المهم. يمكن لذلك أن يكون الخطوات الأولى في نسق لوليبي التزايد باستمرار في انتشار نظام من الحماية الاجتماعية.

تكمن المسألة الأساس في اعتبار العولمة لا حاجزا فحسب بل وأيضا فرصة من أجل التنظم عبر الحدود ذلك أنها عجلت بتدفق خطاب حقوقي يتجه إلى إيجاد حركات تنبع من الأسفل مثلما شهدنا خلال الأشهر الأخيرة في جنوب أفريقيا.

على أن أغلب المنظمات ذات الروح التجديدية هي في الحقيقة شبكات من قبيل StreetNet International، وهي تَجمّعٌ، من مقرها في دوربان، يانعي الشوارع في كل أنحاء العالم من أجل ممارسة الضغط على البلديات المحلية بغية الحصول على الاعتراف بحقهم في البيع في الفضاءات العامة.

ليس الخيار بين الانخراط في العولمة أو البقاء في المحلية بل هو المراوحة بين المحلي والمعولم. فقد قاد الجمع بينهما إلى انبثاق ما أسماه سيدني تارو (Sidney Tarrow) "الكوسموبوليتانيون ذوو الجذور" "rooted cosmopolitans".

من خلال الربط بين سيرورات الإنتاج كونيا عبر سلاسل القيم الكونية، باتت الشركات هشة تجاه مصدر جديد للقوة، حيث يمكن لتأجيل تسليم قطعة محرك تصنع في كوريا بغية إيصالها إلى خط التجميع في استراليا أن يجبر العمال في أستراليا وفي كوريا معا على الالتحاق بطاولة المفاوضات. وليس ذلك مختلفا بالمرة عن التحدي الذي واجهه هنري فورد في ديترويت خلال الثلاثينات. لقد انبثقت مصادر وأشكال جديدة للقوة خلال عصر العولمة.

من المبكر نعت أشكال الفعل الجديدة هذه بالعولمة المناهضة للهيمنة ولكن ذلك لا يعني أنها لم تُدخل أجنداتنا البحثية في أزمة ولم تضع أمامنا تحدي إعادة التفكير في العلاقة القائمة بين رأس المال الكوني والمؤسسات المالية العالمية من جهة و العمل الكوني والحركات الاجتماعية من جهة أخرى. لسوف تتطلب هذه الأجندا البحثية الوليدة تحليلات متعددة المستويات إذا ما كان لها أن تساهم في بناء حركة كونية مضادة.

Beijing Construction Workers in their Dormitory.

عمل كوني، منظور صيني

بقلم بان نغايPun Ngai ،
جامعة هونغ كونغ متعددةالاختصاصات التقنية
Hong Kong Polytechnic University

ساهم التسريع في ما شهدته الرأسمالية من "إعادة الإنتاج الموسعة" إلى نطاق كوني في إعادة رسم سريعة لخريطة العلاقات الطبقية في الصين وفي باقي العالم. تطرق إدوارد وبستر Edward Webster ، (في هذا العدد من *حوار كوني*) إلى إمكانية قيام نوع جديد من التضامن العابر للقوميات يعزز وحدة الحركة العمالية العالمية. أنا أشاطره ذات الحلم وأود أن أضع النزاع المحلي في الصين في سياق منظور كوني. كلنا يعلم أن التقدم التكنولوجي والإعلامي خلق دفقا هائل الحركة من رؤوس الأموال وأن الصفة الجديدة العابرة للقوميات التي اكتسبها العمل تواصل شرذمة العلاقات الطبقية القائمة. على أن "خطبة وداع التحليل الأكاديمي الغربي للطبقة العاملة" أو نهاية "التحليل الطبقي" لم تجعل العلاقات الطبقية في عداد ما تجاوزه الزمن، وبدلا من ذلك انتقلت مسألة الطبقة والصراع الطبقي إلى مجتمعات العالم الثالث واضعة الصين في واجهة النزاع.

ميلاد الطبقة العاملة الصينية الجديدة:

جعلت الدولة الإصلاحية ورأس المال المعولم من الصين، خلال السنوات الثلاثين الماضية، "ورشة العالم"دبين البلدان التي تواصل تطبيق من (*workshop of the world*) خالقة بذلك طبقة عاملة جديدة تعد ما يقارب المائة مليون نسمة. ومع ذلك كان علينا بالتحالف مع الحركة العمالية العالمية ومن دون الإفراط في التفاؤل أن نحافظ على روح غير منهزمة حتى نتمكن من مواجهة كارثة العولمة. وإذا كانت الصين اليوم حلم رأس المال الكوني الباحث عن أشكال جديدة للتراكم بتسارع وامتداد لا يتصوران فإنني سأجادل بأن ذلك قد أوجد بالتوازي أفقا كونيا للطبقة العاملة الجديدة. ليس ما نراه الآن إلا بدايات نضالاتها.

تواتر استعمال عبارة "ورشة العالم" خلال السنوات الأخيرة لوصف ما للصين من قدرة على الإنتاج الكوني. فحينما جدد رأس المال الكوني الانتصاب في الصين لم يكن ذلك استغلالا للعمل بخس الثمن وتدني أسعار الأراضي فحسب، بل وأيضا لما يتمتع به العمال الصينيون الرحالة داخل وطنهم من المثابرة والمهارة وحسن التعليم واستعدادهم للعمل في ظروف قاسية تناسب الإنتاج الفوري وتحولهم في الآن نفسه إلى مستهلكين محتملين للمنتوجات المعولمة. خلقت إعادة موضعة الصين إذا بوصفها " ورشة العالم" أساسا متينا لترعرع الطبقة العاملة الصينية الجديدة.

من المتفق عليه على نطاق واسع أن العمال في كل أرجاء العالم خصوم لبعضهم البعض في لعبة " التسلق نحو الأسفل" التي يقبلون بموجبها الأجور والمنافع الأدنى وأكثر ظروف العمل والحياة بؤسا. وتبدو الصين في هذه اللعبة كما "القاع" بالنسبة إلى صناعة تصدير العمل عالي الوتيرة. وثّقت "جمعية الطلبة والأكاديميين المناهضين للسلوك المخل للشركات" SACOM (Students and Scholars against Corporate Misbehavior)، وهي منظمة عابرة للقوميات تسعى إلى ربط نضالات العمال بنضالات الطلبة، خروقات واسعة النطاق لحقوق العمال الصينيين من قبَل الشركات العابرة للقوميات خلال العقد الماضي. فقد اعتيد على معاينة الأجور متخلفة السداد، وأوقات العمل الزائدة المرهقة والقسرية وظروف الصحة والسلامة المخيفة. ويتيسّر ما تبديه سوق رأس المال الكوني هذه من قوة من قبَل الدولة ما بعد الاشتراكية الصينية بهذه الطريقة أو تلك عبر التضييق على حرية التنظم العمالي والحق في الإضراب.

نضال العمالة المهاجرة في الصين

تمر الطبقة العاملة الصينية الجديدة بسيرورة تغير وإعادة بناء، فقد شهدت الصين الإصلاحية تنامي التباينات والنزاعات الطبقية والاستقطاب الطبقي. وبالنظر لافتقادها قنوات مؤسسية للتعبير عن مطالبها تجند الطبقات المهيمن عليها الآن احتجاجات جماهيرية لإظهار غضبها ولمقاومة الاضطهاد. تبيّن الاحصائيات الرسمية أن عدد الاحتجاجات فيما بين 1993 و2005 قد تنامى على مستوى كل البلاد من حوالي 10000 إلى 87000 حالة وهو ما يناهز نسبة ارتفاع يقدر معدلها السنوي ب20 بالمائة. كما أن عدد المشاركين في هذه الاحتجاجات تصاعد من 730000 إلى ما يزيد عن الثلاثة ملايين. وتجب الإشارة إلى أن 75 بالمائة من هذه الاحتجاجات قد خاضها عمال وفلاحون، فيما لم تتصاعد هذه الاحتجاجات عددا

فحسب بل توسع نطاقها لقد وجد الاستقطاب الحاد الذي تشهده العلاقات الطبقية تعبيرا عنه في ما يجري من نزاعات العمل الآخذة في التكثف كما في انتشار النضالية العمالية. لم تعد أخبار النضالات الجماعية مثل المظاهرات المطالبة بالمنح وسَدّ العمال غير خالصي الأجر الغاضبين لمنافذ الطرق والأعمال الجماعية القانونية ضد التعويضات غير القانونية أنباء غريبة. وسواء أكانت هذه الاحتجاجات في المؤسسات الخاصة أم في مؤسسات الدولة فإنها باتت أكثر صدامية، بل إن المحتجين يهاجمون أحيانا المباني الحكومية بما يؤدي إلى مناوشات عنيفة مع قوات الشرطة. وتشهد الكثير من الأمثلة على أن العمال الرحالة أكثر ميلا إلى التحرك دفاعا عن حقوقهم وأنهم يتجندون في تحركات مختلفة الأنواع تشمل فيما تشمل أفعالا فردية و أخرى جماعية ومباشرة وقانونية. ويعني ذلك أن تحركات العمال الرحالة ليست مقتصرة على استخدام الوسائل المؤسسية أو القانونية للذود عن مصالحهم، إنها تحمل في طياتها سيرورة "تجذر" من خلال إضراباتها وأعمالها في الشارع ومسيراتها. ومن دون أن يتم التضييق على تطور القوة الطبقية غير المنظمة فإن الإضرابات على مستوى المعامل، وإيقاف العمل والمفاوضات الجماعية الخاصة بالأجور وإطلاق الشكاوى الجماعية كلها أعمال تؤثر في الكشف الإعلامي بل تهاجم جهاز الدولة وتعتبر من الوسائل معتادة الاستعمال من قبل العمال الرحالة للتعبير عن عدم رضاهم أو للمطالبة بالتغيير.

لقد وجد الاستقطاب الحاد الذي تشهده العلاقات الطبقية تعبيرا عنه في ما يجري من نزاعات العمل الآخذة في التكثف كما في انتشار النضالية العمالية. لم تعد أخبار النضالات الجماعية مثل المظاهرات المطالبة بالمنح وسَدّ العمال غير خالصي الأجر الغاضبين لمنافذ الطرق والأعمال الجماعية القانونية ضد التعويضات غير القانونية أنباء غريبة. وسواء أكانت هذه الاحتجاجات في المؤسسات الخاصة أم في مؤسسات الدولة فإنها باتت أكثر صدامية، بل إن المحتجين يهاجمون أحيانا المباني الحكومية بما يؤدي إلى مناوشات عنيفة مع قوات الشرطة. وتشهد الكثير من الأمثلة على أن العمال الرحالة أكثر ميلا إلى التحرك دفاعا عن حقوقهم وأنهم يتجندون في تحركات مختلفة الأنواع تشمل فيما تشمل أفعالا فردية و أخرى جماعية ومباشرة وقانونية. ويعني ذلك أن تحركات العمال الرحالة ليست مقتصرة على استخدام الوسائل المؤسسية أو القانونية للذود عن مصالحهم، إنها تحمل في طياتها سيرورة "تجذر" من خلال إضراباتها وأعمالها في الشارع ومسيراتها. ومن دون أن يتم التضييق على تطور القوة الطبقية غير المنظمة فإن الإضرابات على مستوى المعامل، وإيقاف العمل والمفاوضات الجماعية الخاصة بالأجور وإطلاق الشكاوى الجماعية كلها أعمال تؤثر في الكشف الإعلامي بل تهاجم جهاز الدولة وتعتبر من الوسائل معتادة الاستعمال من قبل العمال الرحالة للتعبير عن عدم رضاهم أو للمطالبة بالتغيير

التحدي الذي يواجه النضال العمالي

من الواضح أن عراقيل تحد من نضال الطبقة العاملة الصينية الجديدة، وقد كنت مرة حاججت بأن الطبقة العاملة الجديدة خاضت سيرورة لا حد لها من (شبه) البلترة ولكن الجيل الجديد يختبر الآن " تجددا روحيا" ضخما في المدن المصنعة التي يعمل بها.

يُظهر تاريخ العمل العالمي أن تكوّن الطبقة العاملة ونضجها يتخذ له جذورا في الجيلين الثاني والثالث من العمال الريفيين الذين يفدون للعمل في المدن الصناعية. تلك هي سيرورة البلترة التي يتحول بموجبها الكادحون الفلاحيون إلى عمال صناعيين عبر سلب الأولين وسائل الإنتاج والرزق التي لديهم. تلك هي الموضوعة التي تخترق تاريخ الرأسمالية العالمية. ونتيجة لذلك، فإن مصير العمال مرتهن بسيرورة تراكم رأس المال وتوسع سلعنة العمل. هؤلاء العمال لا يملكون لا وسائل العمل التي يستعملون ولا المواد الأولية التي يحولون ولا المنتوجات التي يصنعون.

عندما جعلت الصين من نفسها ورشة العالم وأصبحت مجتمعا حديثا مصنعا أعادت سن ظاهرة معتادة في تاريخ الرأسمالية العالمية. ما هو خاص بالصين هو الغرابة التي اتخذتها سيرورة البلترة. فمن أجل إدماج النظام الصيني الاشتراكي في الاقتصاد الكوني ابتدعت السلطات الصينية نظام هوكو (*hukou*) للتسجيل الذي دعا، مثله مثل قوانين العبور التمييزي في جنوب أفريقيا، العمال الفلاحيين للعمل في المدينة من دون السماح لهم بالإقامة فيها. لا يزال التصنيع والتحضير بالنسبة إلى الطبقة العاملة الصينية الجديدة سيرورتين متمايزتين تمايزا شديدا بما أن العديد من المزارعين-العمال حرموا من إمكانية العيش في المكان الذي فيه يشتغلون أو أن يشتغلوا في المكان الذي فيه يقيمون. لم تتخذ السلطات الحضرية المحلية أية إجراءات محفّزة للجمع بين حاجات الاستهلاك الجماعي للكادحين تلك المتعلقة بالسكن والتعليم والرعاية الصحية وخدمات اجتماعية أخرى. حرم العمال الريفيون النازحون نظريا لا فعليا من العيش في المراكز الحضرية بفعل نظام هوكو وذلك من خلال الحواجز الطبقية التي أكدت أن العمال النازحين ذوي الأجور الهزيلة لا يكونون قادرين على الالتحاق بالجماعات الحضرية. وعلى الإجمال يبدو أن سيرورة البلترة التي مست الكادحين الزراعيين الصينيين تأطرت بعزل مكاني فَصَلَ بين الإنتاج في المناطق الحضرية وإعادة الإنتاج في الريف. ولكن هذا العزل بين المجالات يخلي المكان لبروز نظام من السكن الجماعي يوفر تمفصلا جديدا بين العمل والسكن يشبه ترتيبات العمل-الإقامة الرأسمالية المبكرة ويواصل التمييز بين العمال والمدينة.

إن الموديل الناتج عن ذلك عبارة عن *بلترة لا تنتهي* تقود إلى شعور لا يكف عن التعمق بالتحول *إلى كائنات غير مكتملة* أي بالتحول إلى *نونغمينغونغ (nongmingong)* (نصف أو شبه عامل في عالم رأسمالي). يكون الفرد الذي يعاني من نوع من اللاتوافق ضحية "تمزق" مفروضة عليه. تضل أبواب العالم الحضري والصناعي موصودة في وجه الجيل الثاني من العمالة المهاجرة. ليس لل*نونغمينغونغ* مكانا يذهب إليه ولا مكانا يستقر فيه مثلما تعبر عن ذلك قصيدة العامل التي تقول:" أنت تعلم أن قدر حياتك حالة من التمزق الدائمة " وأنك تَطرُقُ سبيلاً لتصبح بدون وضعية اجتماعية، ذاك الذي لا تكون فيه لا نونغمين (مزارعا) ولا غونغرين (عاملا). " لن تندم أبدا على ما فات، حتى ولو كان عليك أن تكابد العسر الرهيب". ذلك هو مسار الجيل الجديد من عمال *داغونغ* الذين يحاولون أن يتجاوزوا تجربة الإكتمال.

خاتمة

على الإجمال، خلقت سيروة البلترة في صين الفترة الإصلاحية طبقة عاملة جديدة يتنامى وعيها بمختلف أشكال الفعل الجماعي ويتعزز تهيؤها للمشاركة فيه، وغذا حيز الجيل الثاني من العمال الرحالة موجة عدوى من الإضرابات العفوية في جنوب الصين.

لقد عاينا معنى ميلاد الذات والغضب والعمل الجماعي لدى الجيل الثاني من العمال المزارعين وسجلنا أنهم يوجدون في مركز إطلاق آليات مراقبة وهيمنة يتوجب فيها على العمال ذواتهم أن يفاوضوا وأن يمفصلوا تجانسهم الذاتي. وعلى الرغم من الحواجز البنيوية، تستحضر الطبقة العاملة الجديدة سلسلة من أشكال الانتفاض اليومية والجماعية تثير خوف قوى رأس المال وتجعل الدولة أكثر فأكثر تصميما على إخضاعهم.

عمل كوني، منظور مكسيكي

بقلم إنريك دو لاغارثا(Enrique de la Garza)، **الجامعة المستقلة** (Universidad Autónoma Metropolitana)، **مكسيكو**

Canadian Steel Workers support Mexican Miners and Metal Workers.

وضع إدوارد وبستر (Edward Webster) سؤالا تقليديا ولكنه لا يزال راهنا: هل تكون عولمة العمل بوصفها حركة اجتماعية ممكنة في ظل عولمة رأس المال، و إذا ما كان هذا الربط ممكنا، ما دلالة تكوين هويات وتضامنات أخرى؟

ومع أن وبستر يركز على" الجنوب"، فإني أعتقد ان تحليله يمتد إلى ما وراء الثنائيات التقليدية متطور- متخلف. وليس مرد ذلك أن بلدانا متطورة مثل أستراليا توجد هي أيضا في الجنوب بل لأن بلدان الشمال تتضمن ملامح من الجنوب. ومع ذلك، تركّز المسألة الرئيسة بحق على الكيفية التي بها يتم تجاوز حالة تشرذم العمال، تلك الحالة التي تتولد عن اختلاف الإثنيات والديانات والجنسيات وأيضا، وفوق ذلك كله عن اختلاف المواقع (عمل رسمي مقابل غير رسمي، أجراء مقابل غير الأجراء، عمال السلاسل المعولمة مقابل عمال المؤسسات الصغرى، عمال الأنشطة المركزية (core workers) مقابل عمال المناولة (subcontracted)، إلخ...). في هذا المعنى يبدو وبستر مُحقا في اعتبار الضغوط الشديدة الموضوعة على المصانع من أجل التقليل من الكلفة والنجاح في المنافسة مُوَلّدَةً لشعور بالعجز والتسليم لدى العمال بما يقودهم إلى القبول بفقدان حقوقهم بوصفه أحد أشكال حمايتهم واستراتيجية للبقاء على قيد الحياة. يمكن لهذه الاستراتيجية أن تكون وليدة تشرذم الهويات كذلك.

ومع ذلك فإن دروسا أخرى تلقننا غياها هذه القصة:

انتهت أطروحة تشرذم الهويات، سواء أكانت ناتجة عن تلك الحالة المستجدة من لاتجانس الاوضاع المهنية (new heterogeneity of occupations) (كلاوس أوفيClaus Offe) أم عن مسارات العمل المتباينة (divergent labor trajectories) (زيغمونت بومانZygmunt Bauman) إلى أن تكون سطحية على اعتبار السيادة الدائمة لحالة اللاتجانس بين الاوضاع المهنية والشركات والقطاعات مثلها مثل الانقسامات المناطقية والقومية والدولية. (هل كان منتسبو الأممية الأولى متجانسين في المواقع التي كانوا يحتلون؟ وهل كانت الجبهات الشعبية (Popular Fronts) التي تكونت فيما مضى والتي كانت قيادتها أحيانا من الاتحادات أمثلة للتجانس في الاوضاع المهنية ؟). لا تخضع سيرورة بناء الهويات والأفعال الجماعية والحركات الاجتماعية إلى ما يحتله الفاعلون من بنى مهنية (occupational structures). من الأكيد أن البنى الاجتماعية تساعد على ظهور ما يبنى من الاختلافات الاجتماعية ولكن الهويات الاجتماعية تتحدر أيضا من التفاعلات الاجتماعية والحركات الاجتماعية والثقافة والذاتيات المتجسدة (embedded subjectivities). من منظور العمال، تبدو الصلات الأممية في معناها المادي موجودة بَعدُ في سلسلة القيم الكونية بما في ذلك الصراعات الجارية التي ينخرط فيها عمال المناولة وخاصة منها تلك التي تتم في عرض البحر. ومع ذلك فإن هذه الصلة المادية لا تكفل وجود التضامن على الرغم من وجود أمثلة إيجابية على ذلك.

يوجد عدد كبير من العمال خارج سلسلة القيم الكونية: عمال رسميون مقابل غير رسميون، والأجراء وغير الأجراء، والتقليديون وغير التقليديين منهم. من الضروري التساؤل فيما إذا كان من الممكن بعث حركة كونية خارج ما هو متقاسم من هوية الإقصاء (exclusion). تبدو المشاكل في حالة أمريكا اللاتينية شبيهة بتلك التي سجل وجودها وبستر. يتوجب، بالنظر إلى كل حالة، تحديد أهمية القطاع غير الرسمي الذي يبقى على الأغلب خارج ما يتأطر فيه العمل من تعديلات. وعلى ما ينص عليه تعريف منظمة العمل الدولية (م ع د) الجديد، تتراوح نسبة عمال بلدان أمريكا اللاتينية المشتغلين في مواقع لاشكلية أو المفتقدين للحماية المهنية في الشركات غير النظامية بين 40 و 70 بالمائة من قوة العمل.

يشمل القطاع غير الرسمي شركات كبرى وأخرى صغرى ولكنه يسود خاصة في صفوف الشركات التي تستخدم أقل من 5 عمال، وتمثل هذه الوحدات بالغة الصغر غالبيةَ الشركات في كل بلدان أمريكا اللاتينية. وينتمي قسم من قوة العمل في هذا القطاع إلى العمال الأجراء في حين يشتغل العديد منهم للحساب الخاص أو من غير أجرة في شركات عائلية، كما يتوجب احتساب المستخدمين المؤجرين عن طريق العمولات ضمن هذا القطاع. راهنا، تعتبر النضالات من أجل إدخال تعديلات على هذا القطاع ذات أهمية كبرى فيما يمثل موقع العمال في سلسلة القيم العالمية مسألة تضع سؤال العلاقة بين العمال الرسمين و أولئك المستخدمين في إطار المناولة

مثلها مثل اختلافات الوضعيات المهنية، تختلف تشريعات العمل وسياسات تنظيم العمال من بلد لآخر. ومن منظور التشريعات يمكن تقسيم المنطقة بين البلدان التي تواصل تطبيق موديل نيوليبرالي أرثودوكسي (المكسيك وكولمبيا هما المثالان الأبرز) وتلك التي بلغت فيها بدائل السياسات التي تقودها الدولة (الأرجنتين والأوروغواي وفينيزويلا وبوليفيا والأكوادور والبرازيل). تراجعُ قوة الاتحادات وحقوق العمال واضحٌ في النوع الأول من البلدان، وفي الثاني بعض حيوية مستعادة للاتحادات وأنظمة حماية العمال. خلال السنوات 1990، حين تعززت مواقع النيوليبرالية المتوحشة على ما يقارب كامل شبه القارة، عانى العمال خسائر فادحة في مجال الحماية. على أنه ومع حلول القرن الجديد بدأت حظوظهم في التغير في اتجاه إيجابي في العديد من أجزاء المنطقة. ولا يمنع ذلك كون بعض تشريعات العمل الوطنية تسمح بانتظام النضال من أجل حقوق غير الأجراء في حين لا تفعل ذلك أخرى. يحدث مثل ذلك في ما يهم سياسات الاتحادات. ففي ما لا تبدي بعض الاتحادات مقاومة جدية للسياسات النيوليبرالية تبدو أخرى أكثر صدامية في ذلك. بل إن بعضها تلتزم التزاما صارما بتعريف ضيق للعمل يحصره في ما يكون منه مقابل أجرة فيما تفسح أخرى المجال إلى تعريف أكثر اتساعا. تبدو أكثر تعبيرات التضامن الأممي أهمية، وعلى بدائيتها، هي تلك التي تمر عبر الكنفيدراليات الكبرى العملة عبر أمانات فرعية ومن خلال اتفاقات مخصوصة بين كونفدراليات منتمية إلى بلدان مختلفة أو عبر حملات حول قضايا خصوصية تستخدم بعض الاتفاقات الموقعة ما بين الدول مثل بلدان م ع د أو تلك التي ترتبط بالاتفاقات التجارية.

وبتعبير آخر، تعتبر أشكال التضامن الأممي القائمة بعدُ، والتي ذكرها وبستر هامة: الإنسانية منها والمرتبطة بالانتاج وذات المقاربات التعديلية. ولكن من الممكن أن لا نضطر إلى رؤية أكبر آثار "تسييل" الأفعال الجماعية والهويات الجماعية في بنية المواقع المحتلة أو في المسارات السائلة للعمل، ولا حتى بالاقتصار على ما تمارسه السوق الكونية من ضغوط بل في ضياع يوتوبيات العمال. فتلك الشيوعية منها والاشتراكية والفوضوية أو حتى الاشتراكية الديمقراطية التي كانت موجودة بالتوازي مع بعض الظروف المادية وعززت التعلق ببدائل المجتمع الرأسمالي لم تتجدد عمما ولم تعوّض بأخرى.

أقصى ما أمكن فعله هو ظهور بعض الإصلاحات القابلة للتطبيق ضمن النظام النيوليبرالي مثل تلك التي تشير إليها أشكال التضامن لدى وبستر، وهي محدودة مثلا في تعديل النظام المالي أو في إسقاط غير مناسب زمنيا لنموذج الدولة المانحة على المستوى الكوني مثل ما كان في المنتدى الاجتماعي العالمي. ويظهر ذلك أن ما لم يتمكّن بعد هو تظافر الإحساس والتفكير ذلك الذي يمكن ترجمته إلى مشاريع كونية لا في صيغة فكرية ولا على المستوى العملي.

رسالة من مصر: حول تقنية لف فضلات الأبقار لبناء العينات

Cowdung Sampling.

بلغني ما كتبه أحد قدامى طلبتي الذي يعمل الآن في جوبا في جنوب السودان: "أحار في شرح تقنية كرة الثلج (في بناء العينات) المُلغزَة بالنسبة إلى أفارقة لا عهد لهم بما قد تكون عليه كرة ثلج. شرحت سيرورة دحرجة كرة الثلج وتضخمها المتصاعد وطلبت منهم أن يدلّوني على ما يمكن أن يكون معهودا لديهم مما يصير أضخم فأضخم إذا ما دُحرج. على هذا النحو يصير بإمكاننا أن نسند إسما أفريقيا لبناء العينات المعتمد على تقنية "كرة الثلج". بعد صمت طويل جاء صوت أحد المتمرنين من الخلف " تلك هي طريقتنا في لف فضلات الأبقار". صارت تقنية كرة الثلج إذًا تقنية لف فضلات الأبقار.

قد تتفضلون بمشاطرة زملائنا في الجمعية الدولية لعلم الاجتماع هذا، وخاصة منهم مايكل بوروواي.

تحياتي،

راي جوريديني Ray Jureidini، مركز دراسات الهجرة واللجوء، الجامعة الأمريكية بالقاهرة.

تقديم فريق تحرير باوليستا

The Young Paulistas – From left to right Juliana Tonche, Andreza Galli, Pedro Mancini, Renata Preturlan, Fábio Tsunoda, Dmitri Fernandes and Gustavo Taniguti.

إنه لمن دواعي غبطتي أن أقدم فريق محررينا الجهوي البرازيلي لقراء *حوار كوزمي* في كل أرجاء العالم. فضلا عن ذلك نحن بالغو الحماس للعمل في إصدار ساهم إلى حد كبير في تبادل التجارب والأخبار حول علم علم الاجتماع من مختلف الأماكن. نتمنى لفضاء الحوار هذا أن ينمو ويتعزز. ما يلي هو ملخص مختصر لأعمال أعضاء فريقنا المعروف أيضا باسم "فريق باوليستا" ('The Paulista Team').

أندريزا توناسو غالي Andreza Tonasso Galli حاملة لشهادة في العلاقات الدولية من جامعة ساوباولو وهي الآن طالبة دراسات عليا في قسم علم الاجتماع بنفس الجامعة، حيث تدرس العلاقات العرقية وحركة السود. هي تشارك أيضا في مشروع توسيع الجامعة الحامل لاسم "التعليم من أجل العالم" الذي يعمل بمعية ناشطين في التعليم الشعبي والهجرة وحقوق الإنسان.

ديمتري سيربونتسيني فرناندز Dmitri Cerboncini Fernandes تَخَرَّجَ حاملا شهادته الأولى في العلوم الاجتماعية (2004) ثم تحصل على درجة الدكتورا في علم الاجتماع (2010) من ج س ب. تابع سنة 2008 دراسات في علم الاجتماع بمدرسة الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية بباريس التي أمكن له الانخراط فيها بفضل منحة FAPESP. هو الآن بصدد العمل على تطوير بحث لما بعد الدكتورا في ج س ب حول العلاقة بين التعبيرات الرمزية في السامبا وسياسات التأصيل الثقافي لدى الأفارقة البرازيليين خلال السنوات 1970.

فابيو سيلفا تسونودا Fábio Silva Tsunoda حامل لشهادة الباكالوريوس في العلوم الادتماعية من جامعة باوليستا (UNESP/ *Universidade Estadual Paulista* (Marília وهو حاليا طالب في مرحلة الماجستير في د س ب حيث يجري بحثا حول مناضلي حقوق الإنسان في برازيل ما بعد الدكتاتورية.

غوستافو تاكيشي Gustavo Takeshy حامل لشهادة الباكالوريوس في العلوم الاجتماعية من الجامعة الفيدرالية بساوكارلوس (ج ف س ك)، وهو الآن طالب في مرحلة الدكتورا في علم الاجتماع بج س ب. بحث في الهجرة اليابانية إلى البرازيل كما بحث في علم اجتماع العمل وعلم الاجتماع الاقتصادي والهجرة. هو عضو هيئة تحرير مجلة *متعدد Plural* للعلوم الاجتماعية وباحث ضمن مجموعة الأنثروبولوجيا الحضرية في جامعة ساوباولو (م أ ح، ج س ب).

تحمل جوليانا تونشي Juliana Tonche شهادةً في العلوم الاجتماعية من ج ف س ك حيث أحرزت كذلك على درجة الماجستير. هي اليوم طالبة في مرحلة الدكتورا في ج س ب مركّزة على مبادرات العدالة الجابرة للأضرار. تهتم بالتصرف في النزاعات وسوسولوجيا العقوبات القضائية. هي كذلك عضو في المجموعات التالية: مجموعة أنتروبولوجيا ديريتو Direito (ج س ب) ومجموعة دراسات العنف والنصرف في النزاعات (ج ف س ك).

بيدرو فيليب دو أندراندي مانسيني Pedro Felipe de Andrade Mancini حامل لشهادة الباكالوريوس في العلوم الاجتماعية من ج س ب حيث يعمل الآن على الفراغ من درجة الماجستير في الاتصال الاجتماعي دارسا موضوع الاجتماعية في الواقع الافتراضي. إضافة إلى ذلك هو أيضا عضو في هيئة تحرير *متعدد*، مجلة علم الاجتماع الخاصة بطلبة ما بعد التخرج في ج س ب.

ريناتا بريتورلان Renata Preturlan طالبة في درجة الماجستير في ج س ب وهي تدرس الآن الهجرة البوليفية إلى ساوبولو. هي حاملة لشهادة الباكالوريوس في العلاقات الدولية من ج س ب. وهي عضو في مجموعة دراسات الهجرة ضمن مخبر الأنتروبولوجيا الحضرية وعضو في مجموعة " التعليم من أجل العالم".

Islam Meets Sociology – Dr Seyed Mohammad Seghafi, a distinguished cleric teaching at Azad University with Dr. Gholamabas

الحراك الذي يشهده علم اجتماع الشرق الأوسط

سيد فريد العطاس، قسم علم الاجتماع، جامعة سنغافورة الوطنية

انعقد أول ما يتوجّب أن يتحول إلى سلسلة من الاجتماعات الإقليمية في علم اجتماع الشرق الأوسط والمهتم به هو ذاته، في طهران يومي 28 و29 ماي 2011. جمع اللقاء الذي حمل عنوان " المؤتمر الإقليمي حول الفكر الاجتماعي وعلم الاجتماع في الشرق الاوسط المعاصر" علماء اجتماع عربا وإيرانيين وأتراكا من المنطقة ومما عداها. نظمت المؤتمر الجمعية الإيرانية لعلم الاجتماع بالتعاون مع الجمعية الدولية، وبمساندة من مؤسسة إستنبول للعلم والثقافة، والمكتبة والأرشيف الوطنيين لجمهورية إيران الإسلامية، ومعهد دراسات الدين والفكر في مشهد، ومركز الدراسات و التعاون الدولي، وفرع كلية العلوم الاجتماعية، ومنشورات جامعة شيناسان. قدم ما يناهز الخمسين بحثا خلال يومي المؤتمر نصفها باللغة الفارسية. ألقى المداخلات الافتتاحية كل من مايكل بورووايMichael Burawoy وعميد علم الاجتماع الإيراني غلام عباس تافاسولي Gholamabas Tavasol. وجه بورووايملاحظاته إلى تأكيد

أهمية المؤتمر في التأسيس لعلم اجتماع أقليمي في الشرق الأوسط، مبينا أن ما ينتظر من مثل علم الاجتماع هذا هو أن يفهم السيرورات الحادثة لا داخل الأمم فحسب بل في ما هو عابر لها واصل بينها. وقد رأى أن الشرق الأوسط يختبر إمكانية قيام علم اجتماع كوني في المدى الذي يمكن أن تساهم من خلاله المنطقة في إضفاء الصبغة الكونية على علم الاجتماع. ولفت تافاسولي الذي كان متناغما في أساس الموقف مع بورووايإلى الآفاق البديلة في الفكر الاجتماعي مؤكدا مثلا على أن أفكارًا سوسيولوجيةً

مثل فكرة المجتمع المدني تمد جذورها في إيران ما قبل الإسلامية أو الإسلامية لا في اليونان فحسب. المناقشات حول علم الاجتماع في الشرق الاوسط دائمة التأكيد على التقدير النقدي لحال العلم وعلى الحاجة إلى اعتبار البدائل الشرق أوسطية للتقاليد الغربية، ولم يكن هذا المؤتمر استثناءا. ناقشت العديد من البحوث التي تولّى تقديمها كل من تينا إيوس Tina Uys وساري حنفي ومايكل كون Michael Kuhn وإبراهيم توفيق الحالة الإشكالية التي عليها علم الاجتماع في الشرق الأوسط في علاقة بالاستشراق والتبعية الآكاديمية. ومع ذلك سارع المشاركون إلى الإشارة إلى أن الموقف الموضوعي لا يتمثل في الاندفاع نحو تقريع الغرب ولكن في الانكباب على إنتاج علم اجتماع جيّد، ويعني ذلك توسيع آفاقنا إلى ما وراء المعرفة

التي أنتجها الغرب لتحتضن الشرق الأوسط ومناطق أخرى بوصفها منابع لتوليد المفاهيم والنظريات. وبالفعل فمن المعتاد أن نستمع إلى الشعارات المنادية بعلوم الاجتماع الأهلية أو البديلة. أنعش هذا المؤتمر ما سجلته ذاكرتي من هذه الشعارات لا فقط بمناقشتها بل يتقديم أمثلة لها من الفكر الاجتماعي وليد الشرق الأوسط. ناقش سيد أوزارفالي Sait Özervarliومحمد تافاكول Mohamad Tavakol وسيد جواد ميري أعمال كوكبة من المفكرين الإيرانيين والأتراك من القرنين التاسع عشر و العشرين وحثوا على اعتبار جدّي لمحتوى فكرهم في تأسيس علم اجتماع شرق أوسطي. بل إن منابع علم الاجتماع هذا لا ينبغي أن تختصر في ما يُعَرّفُ به الفكر الاجتماعي تحديدا بل تُمَدّ إلى الأدب مثلما أبرز ذلك بيوك محمدي Biuk Mohammadi. ولا يهمل مثل علم الاجتماع هذا الفكرَ الغربي بل يهضمه إبداعيا، وقد وصف أوزرفالي كيفية قيام العديد من مفكري القرن التاسع عشر العثمانيين بذلك.

كانت مسألة أخرى في قلب المناقشات حول علم الاجتماع في الشرق الاوسط وهي العلاقة بين الإسلام وعلم الاجتماع. نظر رياض حسن، معتمدا على تجربته الواسعة في المنطقة تدريسا وبحثا، في ما يمكن أن يكون عليه درس في علم اجتماع الإسلام. يثير ذلك بما لا محيد عنه مسألة وجود تعارض بين المقاربة الدينية والمقاربة السوسيولوجية أو عدم وجوده، وخاصة إذا ما تم تفسير جذور الإسلام. ناقشت مساهمة سارة شريعتي هذه العلاقة الإشكالية بشيئ من التفصيل وابتعدت في ذلك بوضوح عن فكرة قيام علم اجتماع إسلامي، فيما اشتمل المؤتمر في الآن ذاته على عروض قدمها عدد من رجال الدين دافعت عن الفكرة مسجّلة بالاعتماد على ذلك موقف أكثر مُنَاوَءَةً لعلم الاجتماع الغربي.

تحمس العديد من المشاركين لفكرة تجديد اللقاء حسب برمجة سنوية أو نصف سنوية. وتمضي الآن تخطيطات لإقامة المؤتمر القادم حول الفكر الاجتماعي في الشرق الاوسط في إستنبول خلال سنة 2011 إذا ما كان ذلك في المستطاع. وبالتوافق مع الروح النقدية التي اصطبغ بها المؤتمر تم كذلك اقتراح حذف عبارة " الشرق الأوسط" من العنوان لأنها أقل مما يؤمل منها في الدلالة على المنطقة من المنظور الإيجابي الذي يتوفر، مثلما قال ك. فان لور C. Van Leurالطالب في التجارة الاستعمارية والمجتمع ذات مرة، من على :" سطح المركب، وأسوار القلعة، متحف التجارة الداخلية الشاهق".

Hicham Yezza and Rizwaan Sabir outside the Library that held the controversial Al-Qaeda Manual.

استهداف الحرية الأكاديمية:
حالة ثنائي نوتينغهام وشاهد الحق

بقلم ألف غونفالد نيلسن Alf Gunvald Nilsen،
جامعة برغن Bergen ، النرويج

يوحي ما جد من أحداث في جامعة نوتنغهام (ج ن) مؤخرا، أن الحرية الأكاديمية، أي حرية إجراء البحوث وعرض نتائجها في المجال العام من دون الخشية من أعمال تأديبية ومن التسريح من العمل أو من تسليط خرق على حرياتنا المدنية، قد صارت، على ما يبدو، أمرا منسيا في سياق ما يسمى "الحرب ضد الإرهاب".

في الرابع من ماي من هذه السنة، أوقف الدكتور رود ثورنتون Rod Thorntonالجندي البريطاني السابق وخبير الإرهاب الدولي ومقاومة التمرد، عن عمله بوصفه محاضرا في معهد السياسات والعلاقات الدولية (م س ع د) بج ن. وكان هذا الإيقاف نتيجة لبحث نشره الدكتور ثورنتون (paper) أعلن فيه أن الهيئات العليا لج ن مسؤولة مباشرة على الإيقاف المخطئ في حق رجلين مسلمين اثنين هما رضوان صابر، طالب الماجستير في م س ع د وهشام يزا عضو هيئة معهد اللغات الحديثة ومحرر الصحيفة السياسية *Ceasefire* بوصفهما مشبوها بهما في قضايا إرهاب تعود لثلاث سنوات خلت، في ماي 2008. احتفظ بثنائي نوتنغهام لستة أيام بعد إيقافهم ثم أفرج عنهم من غير اتهام. وقد جاء الإيقافان على أثر اكتشاف أحد زملاء يزا وثيقة معنونة " كتاب القاعدة للتمرين" ومقالين آكاديميين على لوحة شاشة جهازه المكتبي. كان صابر Sabir قد نَزّل الوثائق ليشتغل عليها في رسالته للماجستير حول الإسلام الراديكالي ثم أرسلها إلى صديقة يزا بغرض الحصول على رأيه في هذه المواد . وللتدقيق فقد حصل صابر على كتاب القاعدة من موقع وزارة العدل الأمريكية.

فَصّل الدكتور ثورنتون الكيفية التي بادرت بها إدارة المدرسة، وعوضا عن القيام بتحقيق احترازي عند العثور على الوثائق وهو ما يتوجب على ج ن حسب توجيهات الحكومة، إلى الاتصال مباشرة بالشرطة. ونتيجة لذلك تم إيقاف البريئين. لا بل إن ثورنتون أظهر كيف انخرطت إدارة الجامعة على أثر إطلاق سراح الرجلين في جهود منسقة تهدف للنيل من سمعتهما جهود منسقة تهدف للنيل من سمعتهما وسمعة مناصريهما داخل الجامعة من أجل إسكات تحديهم لج ن في تكذيب عدم قانونية الوثائق ومشروعية الإيقاف.

قررت ج ن The UoN أن ما ينادي به ثورنتون غير ذي أساس وحاججت بأن التقرير الذي كتبه يشوّه سُمعة زملائه، ولكنها فشلت في مد الجمهور بدليل واحد يثبت صحة إدعائها هذا. بتعبير آخر يبدو إيقاف د.ثورنتون عن العمل وكأنه كتم لصوت لشاهد حق (silencing a whistleblower.).

مقالة الدكتور ثورنتون تقريرُ بحث دقيق يقدم أدلة قوية عما يثؤكّدُه. وعلى امتداد 112 صفحة تمكّن من تقطيع دقيق وضع لاتصالات الجامعة الداخلية جمعها بموجب قانون حرية المعلومات غطّت ثلاث سنوات ليُشَرّعَ تحاليله، بل من المؤسف التأكيد على أن د.ثورنتون وقبل أن ينشر مقاله، كان قد استنفذ كل الطرق الداخلية لتوجيه اتهاماته ضدّ ج ن.

ذلك هو السبب الذي يجعل من تقرير د ثورنتون ونقده لج ن و سلوكها غير خليق بأن يواجه بهجوم آخر على الحرية الأكاديمية. يجب إرجاع د. ثورنتون فورا إلى سالف عمله كما يجب إخضاع ج ن لنَظَر لجنة تحقيق مستقلة في ما يهم الاتهامات التي وجهها لها تقريره. يرجى الاتصال بناعوم تشومسكي Noam Chomsky وآخرين لمد يد المساندة لهذه المطالب وذلك عبر إمضاء العريضة S.W.A.N.الموجودة على الرابط http:// www.thepetitionsite.com/1/support-whistleblower-at -nottingham/.